جامعةالشهيد حمه لخضر – الوادي

كلية العلوم الإسلامية

قسم الحضارة الإسلامية

الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم عند سيد قطب من خلال تفسيره "في ظلال القرآن" _جزء عم أنموذجاً_

مذكرة تخرّج تدخل ضمن متطلبات الحصول على شهادة الماستر

في العلوم الإسلامية - تخصص: لغة عربية ودراسات قرآنية

الطالبة: **منار داده**

المشرف: **أ.د قويدر قيطون**

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
إدريس ريمي	أستاذ محاضر أ	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	رئيسا
قويدر قيطون	أستاذ التعليم العالي	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	مشرفا ومقررا
ابتسام فارح	أستاذ مساعد ب	جامعة الشهيد حمه لخضر– الوادي	ممتحنا

السنة الجامعية: 1445–1446هـ/2023–2024م

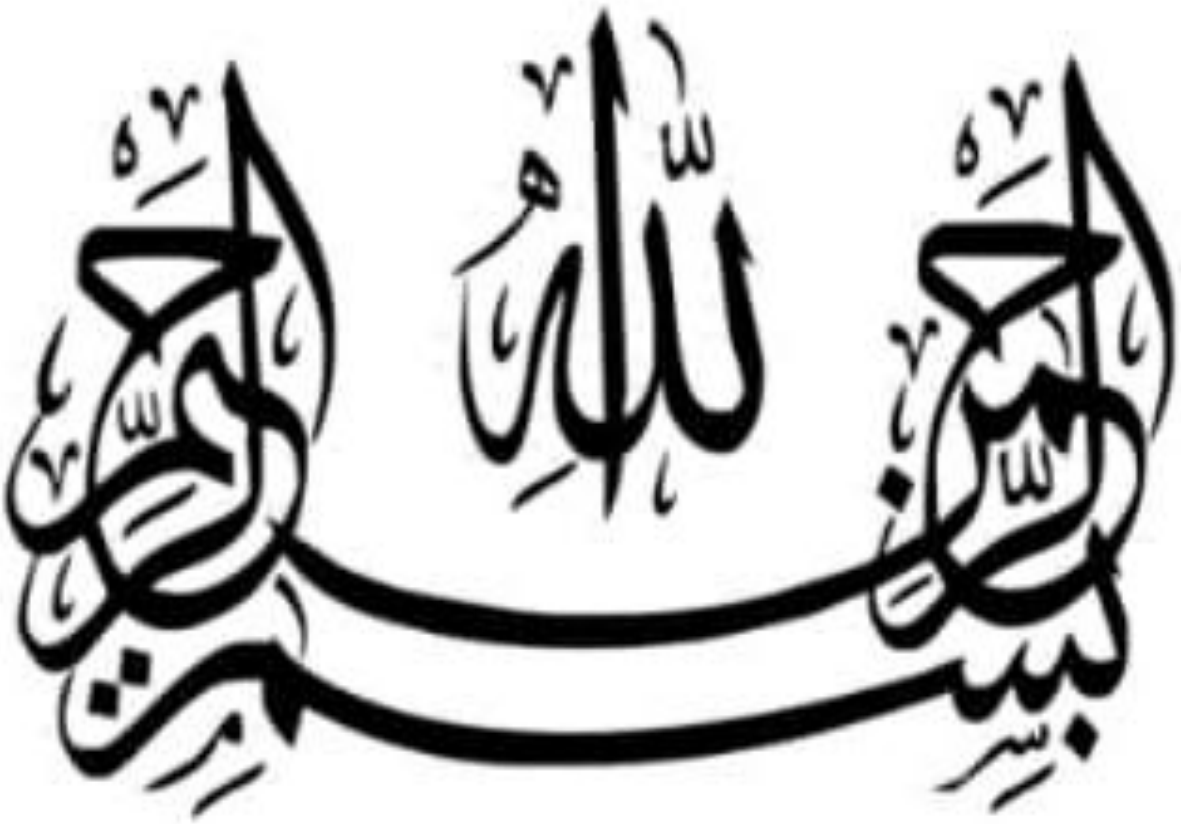
بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

الحمد لله الّذي بعزّته وجلاله تتمّ الصالحات، يا ربّ لك الحمد كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك. . . فالحمد لله حباً وشكراً وامتناناً أن وفقني وهداني، ويسر لي بحثي وأعانني عليه وأسأله سبحانه أن يتقبله مني قبولاً حسناً .

بعد شكر الله سبحانه وتعالى على توفيقه لإتمام هذا البحث المتواضع أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى من شرفني بإشرافه على مذكرة بحثي الأستاذ الدكتور قويدر قيطون حفظه الله، على توجيهاته السديدة في إنجاز هذا البحث وتقويم اعوجاجه وتصويب خطئه رغم كثرة أعماله وارتباطاته، وإلى كل أعضاء اللجنة المناقشة على تفضلهم لقبول مناقشة هذه المذكرة وإفادتهم، في إبداء ملاحظاتهم القيمة وتوجيهاتهم فجزاهم الله عني كل خير الجزاء .

وإلى كل أساتذة قسم الحضارة الإسلامية بجامعة الشهيد حمه لخضر الوادي الذّين أفاضوا علينا بما منّ الله عليهم من علم وأدب .

كما لا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر إلى كل من ساهم في إخراج هذا العمل من قريب أو بعيد ولو بكلمة طيّبة، بارك الله فيكم وجزاكم عني كل خير

إهـــداء

قال تعالى: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ)

إلهي لا يطيب الليل إلا بشكرك ولا يطيب النهار إلا بطاعتك . . ولا تطيب اللحظات إلا بذكرك . . ولا تطيب الآخرة إلا بعفوك . . ولا تطيب الجنة إلا برؤيتك الله جل جلاله

إلى من بلغ الرسالة وأدى الأمانة . . ومعلم الأمة . . إلى نبي الرحمة ونور العالمين

إلى من أحمل اسمه بكل فخر، إلى ملاكي الطاهر، قوتي بعد الله، إلى معلمي الأول "أبي الغالي" أهدي له ثمرة غرسه.

إلى من جعل الله الجنة تحت أقدامها وسهلت لي الشدائد بدعائها، داعمتي الأبدية "أمي الغالية" أهديك هذا الإنجاز الذي لولا تضحياتك لما كان له وجود.

إلى من قيل فيهم سنشد عضدك بأخيك "إخوتي" وفقهم الله في مشوارهم الدراسي.

إلى معلمي وأساتذتي في مختلف الأطوار والمراحل والمجالات وإلى كل أساتذتي في قسم الحضارة الإسلامية جزاهم الله عني كل الخير.

إلى من تحلوا بالإخاء وتميزوا بالوفاء والعطاء جميع الإخوة والأصدقاء والزملاء.

وإلى كل من مد يده دون كلل ولا ملل أنا ممتنة.

ملخص الدراسة:

هذه الدراسة الموسومة بِـ: **الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم عند سيد قطب من خلال تفسيره "في ظلال القرآن" _جزء عم نموذجاً_**

وهي تتمحور حول إشكالية مفادها: **كيف تناول سيد قطب الصوت في القرآن الكريم في تفسيره الظلال ؟ وكيف وظّفه في نظرته الشاملة لبنية الخطاب القرآني المعجزة؟**

وقد حاولت الإجابة عليها من خلال الإلمام بالموضوع من كل جوانبه وذلك بتقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة.

ففي الفصل التمهيدي عنيتُ من خلاله في إبراز الصوت وأشكاله ودلالاته في اللغة العربية، والفصل الأول أبرزت من خلاله الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم في دراسات اللغويين، وأمّا الفصل الثاني فقد جعلته بعنوان دلالة الصوت في جزء عم في تفسير ظلال القرآن لسيد قطب.

ومن أهم النتائج التي خلصتُ إليها هي:

أن سيد قطب قد جعل البنية الصوتية في القرآن الكريم عنصرا مهما من عناصر إعجازه، وأن للصوت في القرآن وظائف متعددة ودلالات متميزة لها قيمتها في خطابية القرآن الكريم وتحقيق أبعاده ومفاهيمه.

The abstract:

This study، tagged with: The vocal miracle in the Holy Qur'an by SayyidQutb through his interpretation "in the the shadows of the Qur'an" _ Part of as a model_

It revolves around the problem: How did the master of Qutb address the voice in the Holy Quran in his interpretation of shadows? And how did he employ him in his comprehensive view of the structure of the miracle Quranic discourse?

I tried to answer it by familiarising the subject in all its aspects by dividing the research into an introduction، three chapters and a conclusion.

In the introductory chapter، I was meant by highlighting the sound، its forms and connotations in the Arabic language، and the first chapter through which I highlighted the vocal miracle in the Holy Qur'an in the studies of linguists، and as for the second chapter، I made it entitled The Connotation of Sound in a part in the interpretation of the shadows of the Qur'an by SayyidQutb. Among the most important findings I have concluded are:

SayedQutb has made the vocal structure of the Holy Quran an important element of its miracle، and that the sound in the Qur'an has multiple functions and distinct connotations that have value in the rhetoric of the Holy Quran and the realisation of its dimensions and concepts.

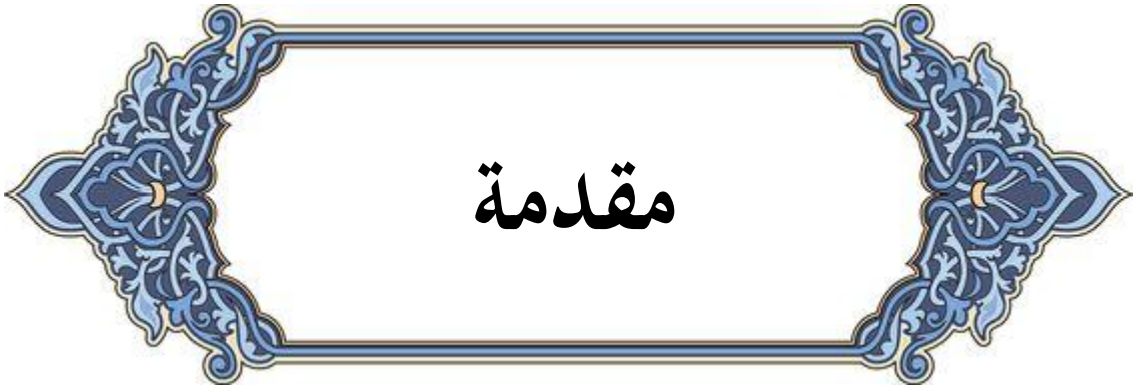

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل قرآنه هداية للعالمين وتبياناً لكل شيء إلى يوم الدين، والصلاة والسلام على من لم ينقص من القرآن حرفاً محمد المبعوث رحمة للعالمين.

وبعد:

بعد أن سكتت الدهشة عن متلقي النص القرآن لحظة نزوله ، وبدء السؤال عن مكمن الإعجاز فيه، لم تتوقف إلى يوم الناس هذا تلك المساءلات المتجددة الساعية لكشف حقيقة الخطاب القرآني وسر إعجازه؛ فتعددت الوجوه بتعدد الدراسات والتفسيرات، فكان القرآن في كل ذلك مبهراً مفحماً معجزاً.

ولعل أوّل ما أحسه العرب في القرآن هو نظامه الصوتي العجيب، والذي كان مدعاة للبحث والدراسة كونه سراً من أسرار النظم والإعجاز، فالصوت عنصر مهم في إعجاز القرآن الكريم، فهو يُضفي على النّص القرآني نغمةً عذبة لها أثرها في إيصال المعنى بشكل دقيق ومؤثر.

ونظرا لما احتواه النص القرآني من نظام صوتي بديع، فقد حفز ذلك علماء الإعجاز على دراسة النّص القرآني من منظور صوتي، فظهرت الدراسات الصوتية بشكل مطّرد وإن كانت بنسب متفاوتة في تلك المباحث الإعجازية ، ومن بين دارسي القرآن الذين أولوا اهتماما بالغا بالجانب الصوتي للقرآن الكريم نجد سيد قطب رحمه الله بتلك الوقفات والنظرات المتميزة، التي ضمّنها مؤلفاته المختلفة التي تمحورت حول الإعجاز القرآني ومن أهمها تفسيره الذي سماه "في ظلال القرآن" فقد استثمر أفكار السابقين حول نظم القرآن وفق متطلبات العصر الحديث، وكان للصوت الحظ الوافر في هذه الدراسة.

من أجل ذلك عزمت على دراسة الجانب الصوتي للقرآن الكريم عند سيد قطب في هذا المؤلف، فجاء عنوان مذكرتي حول "الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم عند سيد قطب من خلال تفسيره "في ظلال القرآن" جزء عم أنموذجاً".

أولاً– إشكالية البحث:

جاء هذا البحث ليجيب عن تساؤلات محورية تمثلت في:

كيف تناول سيد قطب الصوت في القرآن الكريم في تفسيره الظلال ؟ وكيف وظّفه في نظرته الشاملة لبنية الخطاب القرآني المعجزة؟

تتفرّع منها إشكاليات متعددة وهي:

– ما مكانة الدراسات الصوتية في الدرس القرآني؟

– وما قيمة الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم بين وجوه الإعجاز المختلفة؟

– ما أثر الصوت في بنية الخطاب القرآني وما دلالاته؟

ثانياً– أهداف البحث:

يهدف البحث إلى ما يلي:

1_ إثراء المكتبة القرآنية بدراسة علمية محكمة حول هذا الموضوع، ينتفع بها المسلمون والباحثون وطلبة العلم.

2_ إبراز منهج سيد قطب في تفسير القرآن الكريم.

3_ المساهمة في إثراء الدراسات حول سيد قطب من خلال طرح رؤى جديدة.

4_ محاولة التوصل إلى التناسب بين الجانب الصوتي والجانب المعنوي في أفكار سيد قطب، وفهم دور كلّ منهما في إعجاز القرآن الكريم.

ثالثاً– أهمية الموضوع:

1_ يُعدّ الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم أحد جوانب إعجازه الكثيرة، وفهم هذا الجانب يُساعد على إدراك عظمة القرآن الكريم وتميزه عن غيره من الكتب.

2_ يُظهر الإعجاز الصوتي كيف استخدم الله تعالى الأصوات بطريقة دقيقة لخلق تأثيرات معنوية ونفسية عميقة لدى القارئ أو السامع.

3_ تُتيح لنا هذه الدراسة فرصة الاستمتاع بنغمات القرآن الكريم وتأثيره العميق على النفس، ممّا يُساعد على تذوق جمالياته اللغوية والصوتية، وفهم إعجازه الصوتيّ كما فصّله سيد قطب.

رابعاً– أسباب اختيار الموضوع:

تتعدد الأسباب التي دفعتني إلى اختيار موضوع الإعجاز الصوتي عند سيد قطب، ولعلّ أهمّها:

1_ رغبتي في التعرف على سيد قطب ومدى تأثيره على تفسير القرآن الكريم، خاصّةً فيما يتعلق بالإعجاز الصوتي.

2_ فقد لفت انتباهي اهتمام سيد قطب بهذا الجانب من إعجاز القرآن الكريم، وخصص له العديد من مؤلفاته، مثل: "في ظلال القرآن الكريم" و"مشاهد يوم القيامة".

3_ أثار تركيز سيد قطب على الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم فضولي، ودفعني إلى دراسة هذا الموضوع بشكل أعمق، لفهم أفكاره وتحليلها.

خامساً– خطة البحث:

استلزمت طبيعة هذا البحث تقسيمه إلى مقدمة وثلاث فصول وخاتمة على النحو الآتي:

المقدمة: بيّنت من خلالها إشكاليَّة الموضوع وأهدافه المتوّخاة منه، وأهميته وأسبابُ اختياره ، وعرضاً لخِطّته، والمناهج المتَّبعة لمعالجة مسائله، والمنهجيّة في كتابته، وذكر أهم مصادره ومراجعه، والصعوبات التي واجهت الباحث، ثم ختمتها بالدراسات السابقة له.

الفصل التمهيدي: عنيتُ من خلاله في إبراز قضية الصوت وأشكاله ودلالته في اللغة العربية، فاشتمل على ثلاثة مباحث: أولها: جعلته بعنوان تعريف الصوت لغة واصطلاحاً، وقد احتوى على مطلبين؛ أولهما: تعريف الصوت لغة، وثانيهما: تعريف الصوت اصطلاحا، وأما المبحث الثاني: أشكال الصوت في اللغة العربية؛ فقد اشتمل كذلك على ثلاثة مطالب: أولها: احتوى على التعريف بالأصوات الصامتة والصائتة، وثانيها: على مخرجها، وثالثها: صفاتها، ثم ختمت الفصل بمبحثٍ أبرزت فيه دلالات الأصوات في القرآن الكريم، اشتمل على ثلاثةِ مطالب: أولها: احتوى على قيمة الصوت التعبيرية، وثانيها: الأثر النفسي، وثالثها: تقوية المعنى.

الفصل الأول: وأبرزت من خلاله الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم في دراسات اللغويين، وذلك وفق مبحثين: أوّله جعلته بعنوان: الإعجاز الصوتي عند اللغويين القدماء، اشتمل أوّله: عند الجاحظ، وثانيه: عند الخطابي، وثالثه: عند الباقلاني، واما المبحث الثاني فقد

جعلته بعنوان: الإعجاز الصوتي عند اللغويين المحدثين: اشتمل أوله: عند محمد عبد الله دراز، وثانيه: عند مصطفى صادق الرّافعي، وثالثه: عند عائشة عبد الرحمن.

وأمّا الفصل الثاني: فقد جعلته بعنوان دلالة الصوت في جزء عم في تفسير ظلال القرآن لسيد قطب، قسمته إلى ثلاثة مباحث، أوّلها: وقد جعلته في مطلبين أبرزت من خلاله تعريفاً بسيد قطب وتفسيره في ظلال القرآن، ثانيها وهو المبحث الثاني وقد جعلته بعنوان: الصوت في دراسات سيد قطب؛ فاحتوى على ثلاثة مطالب: أوّلها: جاء بعنوان نظرية التصوير الفني، ثانيها وقد جاء بعنوان: جرس المفردة القرآنية، ثالثها وقد جعلته بعنوان: الإيقاع.

وأمّا المبحث الثالث: فقد كان مبحثاً تطبيقياً خصصّته للدراسة التطبيقية في جزء عم عند سيد قطب من خلال تفسيره "في ظلال القرآن".

ثم ذيّلتُ البحث بخاتمة والتي تضمنت أهم النتائج المتوصل إليها، ثم ختمتها بأهم التوصيات، وفهارس.

سادساً– المنهج المتبع:

اقتضت طبيعة بحثي اعتماد على مناهج متعددة بحسب الجانب الذي نورده وهم على الترتيب:

1_ المنهج الوصفي: من خلال تعريفي بالصوت وأشكاله ودلالاته وذِكر الترجمة الموجزة للسيد قطب.

2_ المنهج الاستقرائي: وذلك من خلال حصر الآيات الواردة في جزء عم المتعلقة بالجانب الصوتي وتتبعها.

3_ المنهج التحليلي الاستنباطي: وذلك بتحليل الآيات الدالة على الإعجاز الصوتي التي تعرض إليها سيد قطب في تفسيره مع إضافة أقوال بعض المفسرين والعلماء الآخرين لإثراء الموضوع والتوضيح أكثر.

سابعاً– المنهجية المتبعة في البحث:

1_ وضعت الآيات القرآنية بين قوسين مزهرين وعزوها في المتن، وذلك بذكر اسم السورة ورقم الآية ووضعهما بين عارضتين، مع تغيير نوع الخط؛ تمييزاً لكلام الله تعالى عن كلام سائر البشر.

2_رجعت للمعاجم اللغوية في بيان معاني بعض المصطلحات.

3_ شرح الغريب الوارد في المتن، وإحالته إلى مصدره.

4_ قمت بترجمة الأعلام المذكورين في المتن.

5_ إذا نقلت الكلام عن قائله بالمعنى، أو تصرفت فيه، فإني أصدِّرُ العزوَ في الهامش بكلمة يُنظَر، أمَّا إذا كان النقلُ حرفياً، فإني أجعله بين المزدوجين الآتيين: " "، والعزوُ حينئذ يكون خالياً من كلمة: ينظر.

6_ عندما أحذف كلامًا من النصوص المقتطَفَةِ حرفياً أضع ثلاث نقاط متعاقبة.

7_ بالنسبة للمصادر والمراجع فقد وثّقت المعلومات الواردةِ في المتن وفق الترتيب الآتي: ذكر المؤلَف والمؤلِف ثم دار النشر ثم بلد النشر ثم الطبعة ثم سنة النشر ثم الجزء ثم الصفحة المقتبس منها.

8_ التزمت الأمانة العلمية ما استطعت إليها سبيلاً، (والله على ما أقول شهيد).

9_ عند استعمال الكتاب في موضعيْن متتالييْن لا يفصلُ بينهما استعمال كتاب آخر، فإنّي أوردُ العبارة الآتية: المرجع نفسه ثم أرْدِفُهُ برقم الصفحة، هذا إذا كان الاستعمالان في الصفحة نفسها، أمَّا إذا كان الأول في صفحةٍ والثاني في صفحة أخرى، فإني أقول: المرجع السابق.

10_ إذا وجدت بالمصدر أو المرجع التاريخين الهجري والميلادي أثبتهما بالطريقة الآتية: التاريخ الهجري ثم التاريخ الميلادي، فإذا وجدت أحدهما فقط، فإني أثبت الموجود.

11_ التزمت رموزاً معينة لإفادة المعاني التالية: الطبعة: ط، التحقيق: تح، الجزء: ج، الصفحة: ص، التاريخ الهجري: هـ، التاريخ الميلادي: م، توفي: ت، وهذا من باب الاختصار.

12_ المحافظة على السلامة اللغوية والإملائية في كتابة البحث.

ثامناً– مصادر ومراجع البحث:

ومن أهم المصادر والمراجع التي اعتمدتها في تشييد بحثي الآتي:

- في ظلال القرآن، لسيد قطب.
- التصوير الفني في القرآن، لسيد قطب.
- مشاهد يوم القيامة، لسيد قطب.

- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، لصلاح عبد الفتاح الخالدي.
- مدخل إلى ظلال القرآن لصلاح، عبد الفتاح الخالدي.
- نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، لصلاح عبد الفتاح الخالدي.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي.
- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، لمحمد الطاهر بن عاشور.
- الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس.
- لسان العرب، لابن منظور.

تاسعاً– صعوبات البحث:

أثناء إنجازي لهذا البحث واجهتني بعض الصعوبات، أحاول أنْ أجملها فيما يلي:

– صعوبة البحث في الدراسات القرآنية، فلا مجال إلاّ للعلم القائم على الأدلّة، وتحري أقصى درجات الصواب، مع الإحاطة بعلوم اللغة.

– أن كتابة البحوث العلمية ليست من السهولة بمكان.

– أن التعامل مع القرآن يحتاج إلى حيطةٍ وحذرٍ.

عاشراً– الدراسات السابقة:

بعد البحث وفي حدود اطلاعي على ما كتب في هذا الموضوع في العديد من المكتبات والمواقع الالكترونية، لم أعثر على رسالة علمية محكمة تناولت البحث في الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم عند سيد قطب من خلال تفسيره في ظلال القرآن، إلا أن هناك العديد من الكتب والرسائل العلمية تطرقت إلى ما تقاطع مع بحثي أو ما يتقاطع معه جزئياً أذكر منها ما يلي:

1_نماذج من الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم، أد. دفة بلقاسم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، جوان 2009.

ارتكزت هذه دراسة على تحليل الظواهر الصوتية في القرآن الكريم بشكلٍ عام، بينما ترتكز دراستي على تحليل الإعجاز الصوتي في تفسير سيد قطب لظلال القرآن بشكلٍ مُحدّد.

2 _ الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم، أ. وهيبة بوشريط، بجامعة المدية، سنة 2015م.
وهو عبارة عن مقال علمي منشور عبر البوابة الوطنية للمجلات العلمية الجزائرية.
3 _ الإعجاز الصوتي عند الرافعي من خلال كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، نجوى قرح، وهي مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر في اللغة والدراسات القرآنية، بإشراف: د. حمزة بوخزنة، كلية العلوم الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، سنة 2023م.
خصصت الباحثة مساحةً لدراسة صوتية في بحثها من خلال تحليلها لأفكار مصطفى صادق الرافعي حول الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، وقد ركزت الباحثة على إبراز جمالية القرآن الكريم وروعة إعجازه الصوتي.
4 _ الإعجاز الصوتي في سورة الصافات، من إعداد الطالبتين: خيرة يحياوي، وسمية شنفاوي، وهي مذكرة مقدمة لنيل درجة الماستر في اللسانيات العامة، بإشراف: د. أمينة رقيق، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، سنة 2018م.
جاءت هذه الدراسة لتُغوص في أعماق الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، وتُحلّل العناصر الصوتية، لكنّها على الرغم من شمولها، اقتصرت على تحليل الإعجاز الصوتي في سورة الصافات، إحدى سور القرآن الكريم المتّسمة بِجمالٍ صوتيٍّ مُميّزٍ، وأنهما لم تسقطا هذه الدراسة على أفكار سيد قطب حول الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم.
5 _ من الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم، أد. محمد محمود داوود أستاذ اللغويات بجامعة قناة السويس، ومراجعة أد. جمال الدين إبراهيم، أستاذ علم التكسوكولوجي بجامعة كاليفورنيا، أمريكا، مصر 2010.
6 _ الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم، للباحثين: أد. سيد علي ميرلوحي، أ.م.د ماجد النجار، جامعة أزاد الإسلامية، أصفهان، مجلة أهل البيت، العدد التاسع.
كان مرتكز محتوى هاتين الدراستين على الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، حيث تُقدّمان تحليلاتٍ شاملةٍ للإعجاز الصوتي للقرآن الكريم من منظورٍ عامٍّ، إذ تميّزت دراستي عن هاتين

الدراستين من خلال تركيزها على أفكار سيد قطب، ممّا يُضفي عليها مساهمةً فريدةً من نوعها في هذا المجال.

ولا يسعني في نهاية هذه المقدّمة إلا أن أقدم شكري وامتناني لأستاذي وموجّهي الأستاذ الدكتور قويدر قيطون إشرافه على هذا البحث، والذي غمرني بعلمهِ الجمّ، وتوجيهاته السديدة ودعمه من أجل إكمال هذا العمل، وتقديمه في حلّة علمية جميلة، والذي لولاه ما كنت لأغوص غمار هذا الموضوع، والتّعرف على أسراره، فجزاه الله عني وعن طلاب العلم خيراً.

هذا وما كان من صواب في عملي فمن الله وحده سبحانه، وما كان من خطأ أو نسيان فمن نفسي، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وآخر دعواي أن الحمد لله ربِ العالمين.

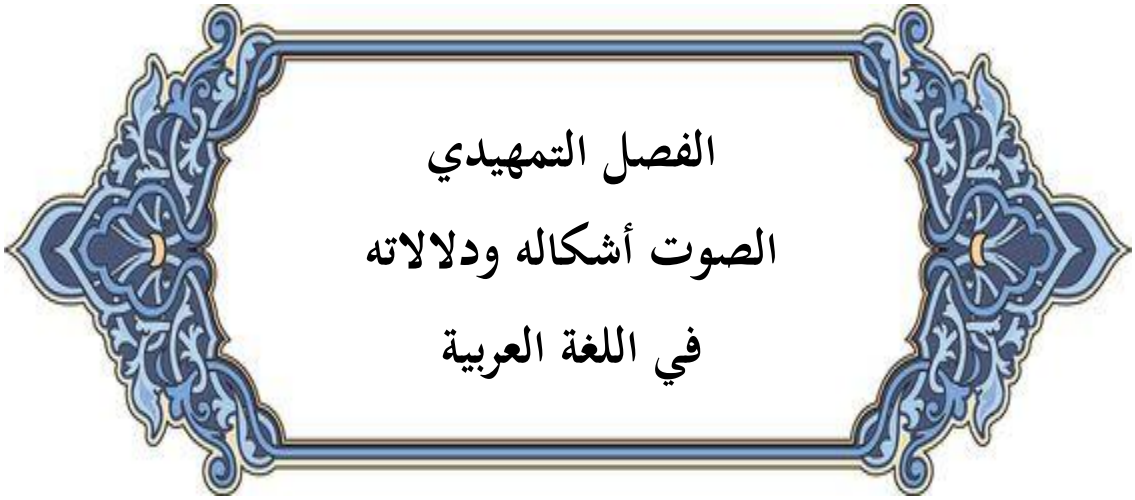
الفصل التمهيدي
الصوت أشكاله ودلالاته
في اللغة العربية

المبحث الأول: تعريف الصوت لغة واصطلاحا

تعددت التعريفات اللغوية والاصطلاحية للصوت سنعرض فيما يلي أهمها:

المطلب الأول: تعريف الصوت لغة:

(صَوَتَ) الصَّادُ وَالْوَاوُ وَالتَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ، وَهُوَ الصَّوْتُ، وَهُوَ جِنْسٌ لِكُلِّ مَا وَقَرَ فِي أُذُنِ السَّامِعِ. يُقَالُ: هَذَا صَوْتُ زَيْدٍ. وَرَجُلٌ صَيِّتٌ،إِذَا كَانَ شَدِيدَ الصَّوْتِ ؛ وَصَائِتٌ إِذَا صَاحَ[1]، أَصاتَ الرجلُ بالرجل إِذا شَهَّره بأَمر لا يَشْتَهيه وانْصاتَ الزمانُ به انْصِياتاً إِذا اشْتَهر.

والصَّوْتُ: الجَرْسُ، وصاتَ: إِذانادَى،كأَصَاتَ، وصَوَّتَ بِه تَصْويتاً، فَهُوَ مُصَوِّتٌ.

والجمعُ أَصْواتٌ وقد صاتَ يَصُوتَ ويَصاتُ صَوتاً وأَصاتَ وصَوَّتَ به كلُّه نادَى ويقال صَوَّتَ يُصَوِّتُ تصْويتاً فهو مُصَوِّتٌ.

وَفِي الحَدِيث: (كَانَ العَبّاسُ رَجُلاً صَيِّتاً)؛ أَي: شديدَ الصَّوْتِ عالِيَهُ، كما ذكر في الحديث أيضا فَصْلُ ما بين الحلال والحرام الصَّوتُ والدُّفُّ يريد إِعلانَ النكاح[2].

إذن تدور معاني الصوت اللغوية حول الشدة والمناداة والإعلان والاشتهار.

المطلب الثاني: تعريف الصوت اصطلاحاً:

اختلف العلماء في تحديد مفهوم الصوت إلى عدة تعريفات، نعرض فيما يلي أهمها:

أ_ عند القدامى:

يعرفه **الجاحظ** بأنه: "آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظة ولا كلاما موزونا ولا منثورا إلا بظهور الصوت"[3].

ويعرفه **ابن جني** في كتابه سر صناعة الإعراب: "الصوت عرض يخرج من النفس مستطيلاً متصلاً، حتى يعرض له الحلق والفم والشفتين، مقاطع تثنية عن امتداده واستطالته، فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها "[4].

وأمّا **ابن سينا** فقد عرفه بقوله: "الصوت تموج الهواء ودفعه بقوة وسرعة من أي سبب كان"[5].

---

[1] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، 1399هـ، 1979م، ج3، ص 248، مادة (ص،و،ت).

[2] لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت، ط1، ج2، ص57، مادة (ص، و، ت).

[3] البيان والتبيين، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة –مصر، ط7، 1978م، ج1، ص79.

[4] سر صناعة الإعراب، ابن جني، تح: حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق –سوريا، ط2، 1993م، ج1، ص6.

[5] الصوت اللغوي في القرآن الكريم، الصغير محمد حسين علي، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م، ص14.

فمن خلال تعريف **الجاحظ** يفهم أن اللفظ أساس عملية التواصل بين الناس، ويُفهم من تعريف **ابن جني** أنّ الصوت مرتبط بالنفس، وبشكل الحروف، وطبيعة مخارجها من الحلق إلى الفم إلى الشفتين على شكل مقاطع، ويرى **ابن سينا** أن الصوت اهتزازات محسوسة في موجات الهواء، مما يحدث صدى أو صوت متذبذب يصلّ إلى أذن السامع.

ب_ أما الدراسات الصوتية الحديثة فقد أَوْلت اهتماما كبيراً بالصوت، ونظروا إليه نظرة أخرى على نحو يلتمس الصوت فيزيائياً وسرعته ومساحته أمواجاً، حيث يرى **كمال بشر** أن الصوت هو: "أثر سمعي يصدر طواعية واختياراً عن تلك الأعضاء المسمّاة تجاوزاً أعضاء النطق"[1].

في حين يرى **إبراهيم أنيس** أن الصوت: "ظاهرة طبيعية ندرك أثرها قبل أن ندرك كنهها، فقد أثبت علماء الصوت بتجارب لا يتطرق إليها الشك أن كل صوت مسموع يستلزم وجود جسم يهتز"[2]؛ أي أنك تدركه بالسمع فقط دون باقي الحواس الأخرى.

ويرى **تمام حسان** بأنه: "عملية حركية يقوم بها الجهاز النطقي وتصاحبها آثار سمعية معينة تأتي من تحريك الهواء فيما بين مصدر إرسال الصوت وهو الجهاز النطقي، ومركز استقباله وهو الأذن"[3].

وأما أحمد مختار عمر فيرى أنه: "أن العملية الصوتية تتضمن عناصر ثلاثة هي وجود جسم في حالة تذبذب ووجود وسط تنتقل فيه الذبذبة الصادرة عن الجسم المتذبذب ووجود جسم يستقبل هذه الذبذبات"[4].

المبحث الثاني: أشكال الصوت في اللغة العربية

لاحظ علماء الأصوات اللغوية أنه يمكن أن تقسَّمَ الأصوات اللغوية على مجموعتين كبيرتين استناداً إلى درجة انفتاح آلة النطق عند إنتاج تلك الأصوات[5]، فأما المصطلحان المعبِّران عن هذين الصنفين من الأصوات فعند علماء السلف من استخدم مصطلح (الجامد)

---

[1] علم الأصوات، كمال بشر، دار غريب، القاهرة–مصر، 2000م، ص119.

[2] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة النهضة، مصر، ص5.

[3] اللغة العربية، معناها ومبناها، تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء–المغرب، 1994م، ص66.

[4] دراسة الصوت اللغوي، أحمد مختار عمر، القاهرة، عالم الكتب، 1991م، ص20.

[5] مدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، 1425هـ، 2004م، ط1، ص75.

ومصطلح (الذائب) خاصة علماء التجويد. ومنهم من استخدم مصطلح (الصامت) و(الصائت) خاصة الفلاسفة والحكماء.

أما دارسو الصوت العرب المحدثون فإنهم اختلفوا في استخدام مصطلحين لتلك الصنفين من الأصوات، اختلافاً يُربكُ المتعلمَ، ويُشوِّشُ على القارئ، ويدل على تشتت الجهود وبعثرتها في مجال البحث في هذا العلم والتأليف فيه.

فكان الدكتور إبراهيم أنيس ـ رحمه الله ـ رائد الدراسات الصوتية العربية الحديثة، قد استخدم مصطلح الأصوات الساكنة، وأصوات اللين، واستخدم الدكتور تمام حسان مصطلحي الصحاح والعلل، واستخدم الدكتور محمود السعران ـ رحمه الله ـ مصطلحي الصوامت والصوائت، واستخدم الباحثون الآخرون الذين جاءوا بعد هؤلاء مصطلحين من تلك المصطلحات، لكنهم لم يتفقوا على استخدام موحد.

ونرجح استخدام مصطلحي (الصامت ـ والصائت) على ما سواهما، لأصالتهما في التراث الصوتي العربي، ولأن اشتقاقهما الصرفي يساعد في ذلك[1].

المطلب الأول: التعريف بالأصوات الصامتة والصائتة:

أ– تعريف الأصوات الصامتة: الصامت في اللغة من الفعل صمت و«صَمَتَ، يَصْمُتُ، صَمْتًا، وصُمْتاً وصُمُوتاً وصُمَاتاً، وأَصْمَتَ: أي أطال السكوتَ»[2].

والصوت الصامت: هو الصوت المجهور أو المهموس الذي يحدث أثناء نُطقه اعتراض لمجرى الهواء في مخرج الصوت، سواء أكان الاعتراض كاملاً كما في نطق صوت مثل: (د، ب)، أو جزئياً من شأنه أن يسمح بمرور الهواء ولكن بصورة ينتج عنها حدوث احتكاك مسموع كما في نطقِ صوت مثل: (س، ش)[3].

ويعرفها إبراهيم أنيس بقوله: "وهي التي ينحبس فيها الهواء انحباساً محكماً فلا يسمح له بمرور لحظة من الزمن يتبعها ذلك الصوت الانفجاري، أو يضيق مجراه فيحدث النفس نوعاً من الصفير أو الحفيف[4].

---

[1] المرجع السابق، ص77، 78.

[2] لسان العرب، ابن منظور، ج2، ص54، مادة (ص، م، ت).

[3] ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997م، ط2، ص124، 125.

[4] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1990م، ط3، ص26.

والصوامت العربية هي:

همزة القطع ب- ت- ث- ج- ح- خ- د- ذ- ر- ز- س- ش- ص ض- ط- ظ- ع- غ- ف- ق- ك- ل- م- ن- هـ- و "في مثل ولد" ي" في مثل يترك"[1].

ب-تعريف الأصوات الصائتة: الصائت في اللغة صاتَ يَصُوتَ ويَصاتُ صَوتاً وأَصاتَ وصَوَّتَ به كلُّه نادَى، والصائتُ الصائح[2].

والصوت الصائت: وهو صوت مجهور يخرج الهواء عند الهواء عند النطق به حراً طليقاً على شكل مستمر من الحلق والفم، دون أن يقف في طريقه عائق أو حائل، ودون أن يضيق مجرى الهواء، أي دون أن يتعرض لتدخل الأعضاء الصوتية تدخلاً يمنع خروجه أو يسبب فيه احتكاكا مسموعا[3].

والصوائت العربية الأساسية هي "الفتحة"، و"الكسرة"، و"الضمة" والألف الممدودة اللينة، أو "الفتحة الطويلة" "كما في "قال"، والياء الممدودة اللينة، أو "الكسرة الطويلة" "كما في "بيع" والواو الممدودة اللينة، أو "الضمة الطويلة" "كما في "روح"[4].

المطلب الثاني: مخرجها:

المخرج في اللغة هو: الخروج الذي نقيض الدخول، وخَرَجَ يخرج خروجًا ومخرجًا، فهو خارج وخَرُوج وخَرَّاج، وقد أخرجه وخرج به، وقد نقل صاحب اللِّسان عن الجوهري بأنّه: قد يكون المخرجموضع الخروج. يقال: خرج مخرجاً حسناً، وهذا مَخْرَجُهُ[5].

وفي المعنى الاصطلاحي: فقد قدم ماريو باي تعريفًا دقيقًا بقوله: "إن التمييز بين أصوات اللغة سواء منها الأنفي أو الفموي يعتمد على استمرار الصوت، ودرجة سماعه، وقوة إنتاجه، وفوق كل هذا على المخرج، وكلمة المخرج تشير إلى النقطة المحدودة في الجهاز النطقي التي يتم عندها تعديل وضعه"[6].

---

[1] علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، ص125.

[2] لسان العرب، ابن منظور، ج2، ص57، مادة (ص، و، ت).

[3] ينظر: علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران،ص124. وينظر: الأصوات اللغوية، دراسة في اصوات المد العربية، غالب فاضل المطلبي، دار الحرية للطباعة، بغداد، 1984م، ص24.

[4] علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، محمود السعران، ص153.

[5] لسان العرب، ابن منظور، ج2، ص249، مادة (خ، ر، ج).

[6] أسس علم اللغة، ماريو باي، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م، ص78.

ويعد مخرج الصوت أساساً التفريق بين الأصوات، فقد اعتمد علماء الأصوات عند تصنيفهم للأصوات، على تعيين جوانب ثلاثة للتفريق بين الأصوات، وهي: (مخرج الصوت أو موضع النطق، صفة الصوت أو طريقة النطق، الجهر والهمس)[1].

فعدد مخارج الأصوات العربية عند القدامى مُخْتَلَفٌ فيه كما هو الحال عندالمحدثين، فذهب معظمهم، إلى أنَّ مخارج أصوات اللغة العربية الجامدة (الصامتة) عشرة مخارج، ويزيد بعضهم مخرجاً، وقد ينقص بعضٌ آخرُ مخرجاً[2].

فعند القدامى نجد الخليل بن أحمد الفراهيدي قد قسمها إلى ثمانية مخارج مرتبة على النحو الآتي:

- الحروف الحلقية: العين والحاء والهاء والخاء والغين.
- الحروف اللهوية: القاف والكاف.
- الحروف الشَجْرية: الجيم والشين والضاد.
- الحروف الأسلية: الصاد والسين والزاي.
- الحروف النطعية: الطاء والتاء والدال.
- الحروف اللِثَوية: الظّاء والذّال والثّاء.
- الحروف الذلقية: الراء واللام والنون.
- الحروف الشفوية: الفاء والباء والميم[3].

وعند المحدثين فنجد كمال بشر قد قسمها إلى أحد عشر مخرجاً، وتكون على الترتيب الآتي:

- أصوات شفوية: وهي الميم والباء.
- أصوات أسنانية شفوية: وهي الفاء.
-أسنانية أو أصوات مابين الأسنان: وهي الثاء والذال والظاء.
-أسنانية لثوية: وهي التاء والذال والضاء والطاء واللام والنون.
- لثوية: وهي الراء والزاي والسين والصاد.

[1] مقدمة لدراسة علم اللغة، خليل حلمي، دار المعرفة الجامعية، 1996م، ص214، 215.

[2] ينظر: مدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، ص86.

[3] ينظر: العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ص57، 58.

- أصوات لثوية، حنكية: وهي الجيم الفصيحة والشين.
- أصوات وسط الحنك: وهي الباء
- أصوات أقصى الحنك: وهي الخاء والغين والكاف والواو.
- أصوات لهوية: وهي القاف.
- أصوات حلقية: وهي العين والحاء.
- أصوات حنجرية: وهي الهمزة والهاء[1].

فعدد مخارج الحروف عند الخليل بن أحمد الفراهيدي ثمانية مخارج رتبها ترتيباً تصاعدياً يبدأ من الحنجرة صاعداً نحو الشفتين، وأمّا كمال بشر فعدد المخارج عنده أحد عشر مخرجاً رتبها ترتيباً تنازلياً يبدأ من الشفتين راجعاً إلى الحنجرة.

المطلب الثالث: صفاتها:

أدرك علماء اللغة قديماً وحديثاً أن مخرج الصوت غير كافٍ للتمييز بين الأصوات، لذلك لجأوا إلى التمييز بينهما من جانب آخر وهي صفات الأصوات؛ فاللأصوات عدة صفات لها ضد وصفات ليس لها ضد:

أ- الصفات التي لها ضد:

الجهر والهمس: الجهر كما عند كمال بشر هو اقتراب الوترين الصوتيين بعضهما من بعض في أثناء مرور الهواء، في أثناء النطق، فيضيق الفراغ بينهما بحيث يسمح بمرور الهواء مع إحداث اهتزازات وذبذبات منتظمة لهذه الأوتـــار[2]، أي فهو الذي يهتز معه الوتران الصوتيان[3].

والهمس أن ينفرج الوتران الصوتيان بعضهما عن بعض في أثناء مرور الهواء من الرئتين بحيث يسمحان له بالخروج دون أن يقابله أي اعتراض في طريقه ومن ثم لا يتذبذب الوتران الصوتيان[4].

والأصوات الساكنة المجهورة في اللغة العربية كما تبرهن عليها التجارب الحديثة هي ثلاثة عشر: "ب ج د ذ ر ز ض ظ ع غ ل م ن " يُضافُ إليها أصواتُ المدّ واللينِ الواو والياء والألف،

[1] علم الأصوات، كمال بشر، ص183، 184، 185.
[2] المرجع نفسه، ص174.
[3] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص21.
[4] علم الأصوات، كمال بشر، ص174.

في حين أن الأصوات المهموسة اثنا عشر: "ت ث ح خ س ش ص ط ف ق ك ه"[1].

الشدة والتوسط والرخاوة: الصوت الشديد عند ابن جني هو: "الحرف الذي يمنع الصوت من أن يجري فيه"[2]، وعرفه الزمخشري بقوله: "أن يحصر صوت الحرف فلا يجري"[3].

وأمّا الرخو فهو الذي يجري فيه الصوت، وما بين الصوت الشديد والرخو المتوسط، والأصوات الشديدة عند ابن جني ثمانية أحرف، وهي: "الهمزة والقاف والكاف والجيم والطاء والدال والتاء والباء" ويجمعها في اللفظ أجدت طبقك[4]، فأما الجيم فهي عند القدامى شديدة وعند المحدثين فإن "الجيم العربية الفصيحة يختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف يقلل شدتها"[5].

والحروف التي بين الشديدة والرخوة ثمانية أيضا وهي: "الألف والعين والياء واللام والنون والراء والميم والواو" ويجمعها في اللفظ لم يرو عنا، وباقي الحروف رخوة[6].

الاستعلاءوالاستفال: الاستعلاء: هو ارتفاع اللسان إلى الحنك الأعلى أثناء النطق به، وهي من الصفات القوية، وحروفه هي (الخاء، الصاد، الضاد، الظاء، القاف، الطاء، الغين).

الستفال: وهو انخفاض اللسان، أي انحطاطه، عن الحنك الأعلى عند النطق بأغلب حروفه، والمستفل اللسان لا الحرف، حروفه: اثنان وعشرون، وهي الباقية بعد سبع للاستعلاء[7].

الإطباق والانفتاح: الإطباق كما يعرفه سيبويه بأنه رفع اللسان إلى محاذاة من الحنك الأعلى في مواضع الحروف المطبقة وهي (ص، ض، ط، ظ)بحيث ينحصر الصوت فيما بين اللسان والحنك إلى موضع الحرف، وأما المنفتح لا تطبق ظهر لسانك برفعه إلى الحنك فلا ينحصر الصوت[8]، وحروفه: خمسة وعشرون، يجمعها قول: [من أخذ وجد سعة فزكا حق له شرب غيث]، وهى الباقية بعد أربعة أحرف الإطباق[9].

---

[1] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص22.

[2] سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني، تح: حسن هنداوي،دار القلم، دمشق، ط1، 1985م،ج1، ص61.

[3] المفصل في صنعة الإعراب، الزمخشري أبو القاسم محمد بن عمر، دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، ط1، 1993م، ص547.

[4] سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني، ص61.

[5] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص25.

[6] سر صناعة الإعراب، أبي الفتح عثمان بن جني، ص61.

[7] القول السديد في علم التجويد، على الله بن علي أبو الوفا، دار الوفاء، المنصورة، 1424هـ، 2003م، ص166.

[8] الكتاب، سيبويه،ج4، ص436.

[9] القول السديد في علم التجويد، على الله بن علي أبو الوفا، ص 167.

الإصمات و الإذلاق: الإصمات يعرفه سيبويه بقوله: "الإصمات المِصْمَتُ من الأصوات، ما لا جوف له ويكون ثقيلا وسميت الأصوات المصمتة لثقلها على اللسان"، وحروفه ثلاثة وعشرون حرفاً مجموعة في (جِزّ عِشَّ سَاقطٍ صَدَّ ثِقةٌ إِذْ وَعْظُهُ يحضك).

الإذلاق: ويعرفه سيبويه بقوله: "الذلاقة هي النطق بطرف أَسَلَةِ اللسان والشفتين.

قال الخليل: "اعلم أنَّ الحروف الذُلْقَ والشَّفَوِيَّةَ ستَّة وهي: (ر ل ن، ف، ب، م)، وإنَّما سُمِّيَتْ هذه الحروف ذُلْقا لأن الذلاقة في المنطق إنّما هي بطَرَف أَسَلة اللِّسان والشفتين وهما مدرجتا هذه الأحرف الستة، منها ثلاثة ذليقة(ر، ل، ن)، تخرج من ذَلْقَ اللسان من (طَرَف غار الفم) وثلاثة شفوية: (ف، ب، م)"[1].

ب- الصفات التي ليس لها ضد:

هذه الصفات تتميز بأنها تلازم الأحرف في جميع الأحوال، ولا يوجد لها ضد وهي عبارة على سبع صفات وهي: الصفير، القلقلة، المدّ واللين، الانحراف، التفشي، الاستطالة، التكرار (التكرير)، وسنضيف إليه صفة وهي الغنة.

الصفير: وهو صوت زائد يخرج من الشفتين عند النطق بحروفه، وحروفه هي: (صاد، زاي، سين)[2]. حيث يقول فيها سيبويه: "أمَّا الصاد والسين والزاي، فلا تدغمهنّ في هذه التي أُدغمت فيهن، لأنهنّ حروف الصفير، وهنّ أندى في السمع، هؤلاء الحروف إنما هي شديد ورخو"[3].

القلقة: وهي اضطراب الصوت للحرف عند النطق به من مخرجه، حتى يسمع له نبرة قوية، أي عالية الصوت، وحروفها: خمسة، جمعت في: (قطب جد).

وخصت بهذه الحروف؛ لأنها اجتمع فيها صفتا الشدة والجهر؛ فالجهر يمنع جرى النفس، والشدة تمنع جرى الصوت[4].

فسيبويه وصفها بالحروف "المشربة" أي التي يخالطها شيء ليس من بنيتها وهو التحريك الخفيف أو الصُّويْت[5].

---

[1] العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، ص51.

[2] القول السديد في علم التجويد، على الله بن علي أبو الوفا، ص170.

[3] الكتاب، سيبويه، ج4، ص464.

[4] القول السديد في علم التجويد، على الله بن علي أبو الوفا، ص171.

[5] علم الأصوات، كمال بشر، ص380.

المدّ واللين: عُرِفَ في الدّرسِ الصوتيّ العربيّ القديمِ استعمالُ مصطلحِ أصواتِ المدّ واللين للدّلالةِ على الأصواتِ الثلاثة : الألف، والواو، والياء، وهو استعمالٌ قديمٌ يَرجعُ إلى سيبويهِ، لكنّه وَصفَ الواوَ والياءَ بالليّنة ؛ لأنّ مخرجَهما يَتّسعُ لهواءِ الصوتِ أشدّ من اتّساعِ غيرِهما، بينما يسمي الألفَباالهاوي بقوله: "ومنها الهاوي، وهو حرفٌ اتّسع لهواءِ الصّوت، مُخْرَجُه اتّسعَ أشدّ من اتّساعِ مخرجِ الياءِ والواو"[1].

الانحراف: عرفه سيبويهِ بقوله: "وهو حرفٌ شديدٌ جَرى فيهِ الصوتُ لانحرافِ اللسانِ مع الصوتِ، ولم يعترضْ على الصوتِ كاعتراضِ الحروفِ الشديدة، وهو اللام، وإنْ شِئْتَ مَدَدْتَ فيها الصوت. وليسَ كالرخوة، لأنّ طرف اللسانِ لا يتجافى عن موضعِهِ، وليس يَخرجُ الصوتُ من موضعِ اللام، ولكنْ من ناحيتَي مُستدق اللسانِ فُوَيْقَ ذلك"[2].

التفشي: انتشار الريح في الفم عند النطق بحرفه،حتى يتصل بمخرج الظاء، وحرفه:هو (الشين)[3].

وقد وصف سيبويه الشين بقول: "والشّينُ لا تُدْغَمُ في الجيم، لأنّ الشينَ استطالَ مخرجُها لرخاوتِها حتى اتّصلَ بمخرجِ الطاء، فصارتْ منزلتُها منها نَحواً من منزلةِ الفاءِ مع الباءِ فاجتمعَ هذا فيها والتفشّي"[4].

الاستطالة: امتداد الصوت من أول حافة اللسان إلى آخرها حتى تتصل بمخرج اللام، حرفها: هو (الضاد)[5].

فهي صفة أطلقها سيبويه على الضاد، وكذلك وصف بها الشين، فقال: "الضاد والشين، لأنّ الضادَ استطالتْ لرخاوتِها حتى اتّصلتْ بمخرجِ اللام. والشينُ كذلكَ حتى اتّصلتْ بمخرجِ الطاء"[6].

التكرار (التكرير): وهو ارتعاد رأس اللسان عند النطق بالحرف، وحرفه: واحد هو (الراء)[7].

---

[1] الكتاب، سيبويه، ج4، ص176، 435، 436.

[2] الكتاب، سيبويه، ج4، ص 435.

[3] القول السديد في علم التجويد، على الله بن علي أبو الوفا، ص175

[4] الكتاب، سيبويه،ج4، ص448.

[5] القول السديد في علم التجويد، على الله بن علي أبو الوفا، ص175.

[6] الكتاب، سيبويه، ج4، ص457.

[7] القول السديد في علم التجويد، على الله بن علي أبو الوفا، ص174.

إذ قال سيبويهِ وهو يتحدث عن صفات حرفه: "ومنها المكرّر، وهو حرفٌ شديدٌ يَجري فيهِ الصّوتُ لتكريرهِ وانحرافهِ إلى اللام، فتجافى للصّوتِ كالرّخوة، ولو لَم يُكرّر لم يَجرِ الصوتُ فيهِ وهو الرّاء "[1]. وقالَ أيضاً : "والرّاءُ إذا تَكلّمْتَ بها خرجتْ كأنّها مُضاعَفة"[2].

الغنة: عرفها سيبويهِ بقوله: "ومنها حرفٌ شديدٌ يَجري معه الصوتُ؛ لأنّ ذلكَ الصوتَ غُنّةٌ من الأنفِ، فإنّما تُخرِجُه من أنفِكَ واللسانِ لازم لموضع الحرف، لأنّك لو أمسكتَ بأنفِك لم يَجرِ معه الصوت. وهو النّون، وكذلكَ الميم"[3].

التنغيم: فهو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين[4]، إذ يعرفهُ إبراهيم أنيس بقوله: "وهو موسيقى الكلام"[5]، ويعرفه تمام حسان بقوله: "التنغيم هو ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام"[6].

النبر:هو قوة التلفظ النسبية التي تعطي للصائت في كل مقطع من مقاطع الكلمة أو الجملة[7]، يعرفهُ إبراهيم أنيس بقوله: "والنبر ليس إلا شدة في الصوت أو ارتفاعا فيه، وتلك الشدة والارتفاع يتوقفان على نسبة الهواء المندفع من الرئتين ولا علاقة له بدرجة الصوت أو نغمته الموسيقية"[8].

المبحث الثالث: دلالات الأصوات في القرآن الكريم

المطلب الأول: قيمة الصوت التعبيرية

إن الصوت في القرآن الكريم يشترك في الدلالة على المعنى، فهو شفرة لغوية دالة، والصوت يتجلى فيه ذات اللفظ، بحيث يستخرج الصوت من الكلمة، والذكر الحكيم حافلٌ بالألفاظ الدالة على الأصوات، فكل لفظ في القرآن الكريم أختير مكانه وموضعه من الآية أو العبارة أو الجملة فإن غيره لا يسد مسدهُ بداهة، فقد اختار القرآن اللفظ المناسب في الموقع

[1] الكتاب، سيبويه، ج4، ص435.
[2] المرجع السابق، ص136.
[3] الكتاب، سيبويه، ج4، ص435.
[4] أسس علم اللغة، أحمد مختار عمر، عالم الكتب، ط8، 1419هـ، 1998م، ص93.
[5] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص103.
[6] مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، ص164.
[7] الأصوات اللغوية النظام الصوتي للغة العربية، محمد علي الخولي، دار الفلاح، 1990م، ص158.
[8] الأصوات اللغوية، إبراهيم أنيس، ص103.

المناسب من عدة وجوه وبمختلف الدلالات، فيرصد بذلك ما لهذه الألفاظ من قوة تعبيرية[1].

ومن الشواهد المخصوصة التي تظهر فيها قيمة الصوت التعبيرية لفظة "يصطرخون" في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ (36) وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ (37)﴾[فاطر: 36- 37].

فالآية تصوّر عذاب الذين كفروا في نار جهنم وصراخهم الشديد، فالمشهد إذن من مشاهد يوم القيامة تعالت فيه الأصوات تستغيث من النار، فجاءت كلمة "يصطرخون" مصوّرة للمشهد، يقول سيد قطب: "إذ يخيل جرسها الغليظ غلظ الصراخ المختلط المتجاوب من كل مكان، المنبعث من حناجر مكتظة بالأصوات الخشنة"[2]، فقد نشأت الغلظة في الكلمة "يصطرخون" من اجتماع أصوات الطاء والراء والخاء والنون فهي أصوات مفخمة وعليه فقد كان "توالي الصاد والطاء وتقاطر الخاء والراء والترنم بالواو والنون يمثل لنا رنة هذا الاصطراخ المدوي"[3]، فالصراخ لابد لها من "لفظة تترجمها بدقة لتنقلها بضجيجها، وقد اختار لها في القرآن لفظة يصطرخون؛ فإن صيغتها، وجرسها وشدة نطقه، وتقارب مخارج حروفه، ترشد العقل إلى دلالتها، وتصور ما فيها من قوة في الانفعال، والتحسر، فلفظة يصطرخون تبدع في عرضها، وتصويرها للمشهد"[4].

ومنه فقد تضافرت أصوات حروف كلمة "يصطرخون" في سياق الآية الكريمة لِرسم مشهد حسيّ حيّ لعذاب الكافرين وصراخهم الشديد طلبًا للنجاة من نار جهنم؛ فاجتماع أصوات "الصاد" و"الطاء" و"الخاء" و"الراء" و"النون" يُضفي على الكلمة غلظًا وخشونةً تُجسّد شدة العذاب، وتُحاكي هدير الصراخ المتقطع من حناجر مكتظة بالخوف والندم، فحقّق تناسب

[1] ينظر: الصوت اللغوي في القران، محمد حسين علي الصغير، ص188.

[2] التصوير الفني في القران الكريم، سيد قطب، مطابع الشروق، القاهرة، ط13، 1993م، ص92.

[3] الصوت اللغوي في القران، محمد حسين علي الصغير،ص166.

[4] الإعجاز الفني في القرآن الكريم، عمر السلامي، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله،، نشر وتوزيع مؤسسات، تونس، 1980م ص93.

الأصوات وانسجامها مع الدلالة تناسقًا جماليًا رائعًا يُساهم في نقل المعنى بطريقة حية ومؤثّرة. ومنها لفظة (صرصر) في قوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (16)﴾ [فصلت: 16].

جاء في تفسير "الصرصر": بإنها ريح شديدة السموم؛ فهو من الصَرّ بفتح الصاد بمعنى الحر. وقيل أيضا إنَّ معناها: ريح باردة تهلك بشدة بردها؛ فهي من الصِر بكسر الصاد أي البرد[1]. فصوت الصّاد بصفيره، مجتمعًا مع الرّاء المتكرّرة، ولّد تقطيعًا صوتيًّا يُوحي بشدّة الرّيح وتلاحقها وطول زمنها، وكأنّ تلمس فيها اصطكاك الأسنان وترديد اللسان في نطق الصّاد؛ فالصاد في وضعها الصارخ، والراء المضعفة مع ذبذبات نطقها؛ إذ دلّ تكرار الرّاء على ما تتسبب به الرّيح الباردة من أذى يصيب البدن، والتكرار للمادة في (صرصر) قد أضفى صيغة الشدة وجسّد صورة الرهبة ولّد صفيرًا ودويًّا يُشبه صوت الرّيح[2].

وعليه فإن الانسجام التام بين المعنى وصفات الأصوات المكررة، فكان التّكرار وظيفة تعبيريّة دلّت إيقاعاته على ما ناسب السّياق من هول وشدّة في العذاب.

المطلب الثاني: الأثر النفسي

يؤدي التكرار دوراً فعلاً في بعض الحروف، فقد تكرر حرف الهاء في سورة الحاقة خمس عشرة مرة، ومن المعلوم أن صوت الهاء حنجريّ احتكاكي مهموس، فكان الصوت مناسب لتصوير الحالة النفسية التي يكون عليها عباد الله يوم الحساب، ومن نماذج تصوير حالة الكافر في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (27)﴾ [الحاقة: 25- 27]

فتظهر زيادة الهاء في كلمتي (كتابيه، وحسابيه) وهو يتناسب مع الفواصل التي يوقف عندها "حرف الهاء"؛ فأدت هذه الفواصل دلالة صوتية مميزة في إبراز حالة اليأس والشقاء الذي يعانيه

[1] ينظر: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ، ج12، ص364.

[2] ينظر: الصوت اللغوي في القران، محمد حسين علي الصغير، ص187. وينظر: البيان في روائع القرآن، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993م، ص355.

الكافرون في جهنم وهم يعذبون[1].

فهذا الصوت يدل على الاضطراب، والانفعال النفسي[2]؛ فجاء هذا الصامت متناسبا مع موضوع السورة وأفكارها، فكانت توحي بالآهات والحسرات التي يمر بها الكافر، فكان صوت الهاء قد حمل دلالات أدت إلى المعنى المراد.

ومنها لفظة "يَعَضُّ" في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27)﴾[الفرقان: 27].

فالعَضُّ: أَزْمٌ بالأسنان، في الآية عبارة عن النّدم لما جرى به عادة الناس أن يفعلوه عند ذلك[3].

فممّا يبعث على "العضّ" شدة الندم والتحسّر، والعضّ يحدث في النّفس ألماً وجرحًا، فناسبه قوله تعالى: "ياليتني"؛ لأنّ التحسّر يبعث على التمنّي المشُوب بالفوات[4].

يقول سيد قطب: فلا تكفيه يد واحدة يعض عليها. إنما هو يداول بين هذه وتلك، أو يجمع بينهما لشدة ما يعانيه من الندم اللاذع المتمثل في عضه على اليدين. وهي حركة معهودة يرمز بها إلى حالة نفسية فيجسمها تجسيماً[5].

المطلب الثالث: تقوية المعنى

إنّ للتّشديد أهمّيّة بالغة في إبراز المعاني وتقويتها، فيوحي من دلالته الصوتية مدى شدته في اللفظة، ومن أعظم الدلالات الصوتية في الشدة والوقع والتلاؤم البنيوي والمعنوي نلمس ذلك في لفظة "ليبطئن" في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾[النساء: 72].

جاء في تفسيرها: أي ليتثاقلنّ وليتأخرنّ عن الجهاد من بطأ بمعنى أبطأ كعتم بمعنى أعتم إذا أبطأ[6].

---

[1] ينظر: نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دفة بلقاسم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2009م، ص25، 26.

[2] خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 1998م، ص40.

[3] المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية –دمشق بيروت، ط1، 1412هـ، ص570.

[4] الاعجاز الفني في القران، عمر سلامي، ص169.

[5] ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق القاهرة مصر، ط34، 1425هـ، 2004م، ج5، ص314.

[6] روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين الألوسي، ج4، ص130.

فتوالي حرف اللام المجهور المشدد وحرف الباء المجهور الشديد وحرف الطاء المهموس المشدد وحرف النون المشددة، يبين دلالة استعمال المضعف ودوره في الإشارة إلى قوة المعنى في اللفظ المزيد بصوت المضعف، ففائدة هذا التشديد هو "لبيان شدة زيادة التثاقل والإبطاء والتخلّف عن الجهاد وشدة حرص هؤلاء والسعي في تثبيط الناس على الخير"[1]. وتقارب الحروف من مخرجها موحي بالمعنى المؤدي للغرض بحيث لا يمكن لأي لفظة أن تعطي إيحاءها فكان المعنى قوياً في دقة التعبير والمعنى.

يقول سيد قطب: "ولفظة "ليبطئن" مختارة هنا بكل ما فيها من ثقل وتعثر؛ وإن اللسان ليتعثر في حروفها وجرسها ، حتى يأتي على آخرها ، وهو يشدها شداً؛ وإنها لتصور الحركة النفسية المصاحبة لها تصويراً كاملاً بهذا التعثر والتثاقل في جرسها"[2]، ويقول: "فترسم صورة التبطئة في جرس العبارة كلها وفي جرس "ليبطئن" خاصة. وإن اللسان ليكاد يتعثر وهو يتخبط فيها، حتى يضل ببطء إلى نهايتها"[3].

يُشير سيد قطب إلى أنّ التبطئة ليست محصورةً في لفظة "ليبطئن" فقط، بل إنّها تشملُ جرس العبارة ككلّ، وذلك من خلال استخدام كلماتٍ ذات حروفٍ ثقيلةٍ وجرسٍ مُتثاقلٍ، ممّا يُضفي على العبارة بأكملها شعورًا بالمشقة والصعوبة.

وفي هذا يقول محيي الدين درويش {لَيُبَطِّئَنَّ}: "فقد جاء التأكيد بإنَّ وبلام التأكيد التي يسميها النحاة المزحلقة ونون التوكيد الثقيلة، وفي استعمال الفعل المضعّف(المشدَّد)، وزيادة الحروف زيادة في المعنى. وفي مجموع هذه المؤكدات تخويفٌ رهيب لمن ثبّط نفسه أو ثبّط غيره"[4].

ومنه فإنّ لفظة "لَيُبَطِّئَنَّ"تُجسّد نموذجًا فريدًا لاستخدام الصوت لِتعزيز المعنى وتوصيله بِفعالية مُباشرة ومُؤثّرة، ويُبرز ذلك بِوضوحٍ من خلال الانسجام المحكم بين دلالة اللفظ ومعناه، حيث تُكمّل دلالة الصوت المعنى وتُؤكّده بِقوة.

---

[1] ينظر: إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، دار الإرشاد للشئون الجامعية –حمص– سورية ، ط4،1415هـ، ج2، ص257.

[2] ظلال القرآن، سيد قطب، ج2، ص180.

[3] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص92.

[4] إعراب القرآن وبيانه، محيي الدين درويش، ج2، ص259.

ومنها لفظة "اثاقلتم" في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾[التوبة: 38]

جاء في تفسيرها: أي تكاسلتم وملتم إلى المقام في الدعة والخفض وطيب الثمار[1].

ورد التضعيف المشدّد في كلمة (اثَّاقلتم) في الحرف (الثاء)من أجل المبالغة في تصوير التباطؤ والتقاعس عند هؤلاء النفر، يقول السد قطب: "إذ يتصور الخيال ذلك الجسم المتثاقل يرفعه الرافعون في جهد فيسقط من أيديهم في ثقل"[2].

فــإن في هذه الكلمة طنا على الأقل من الأثقال، وأصلها (تثاقلتم)، فقلبت (التاء) إلى (ثاء)، لتقارب مخرجيهما؛ طلبًا للإدغام. فلو أنك قلت: تثاقلتم، لخف الجرس ولضاع الأثر المنشود، ولتوارت الصورة المطلوبة التي رسمها هذا اللفظ واستثقل برسمها[3].

وبهذا تكون قد تضافرت أصوات هذه المفردة مع ثقل الصيغة والتضعيف المشدد لِرسم مشهد حسيّ حيّ لأولئك الذين وصفتهم الآية المباركة، مُجسّدةً ثقلهم وتقاعسهم، مما أضفى على الصورة الحسية سمة التشخيص على المعنى، فجسّد استخدام أحرف وأصوات لفظة "اثاقلتم" نموذجًا رائعاً لِتعزيز المعنى وتوصيله بِفعالية مُباشرة ومُؤثّرة.

---

[1] تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء بن كثير، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م، ج4، ص153.

[2] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص91.

[3] ينظر: التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر –تونس،1984هـ، ج10، ص197، وينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص91، 92.

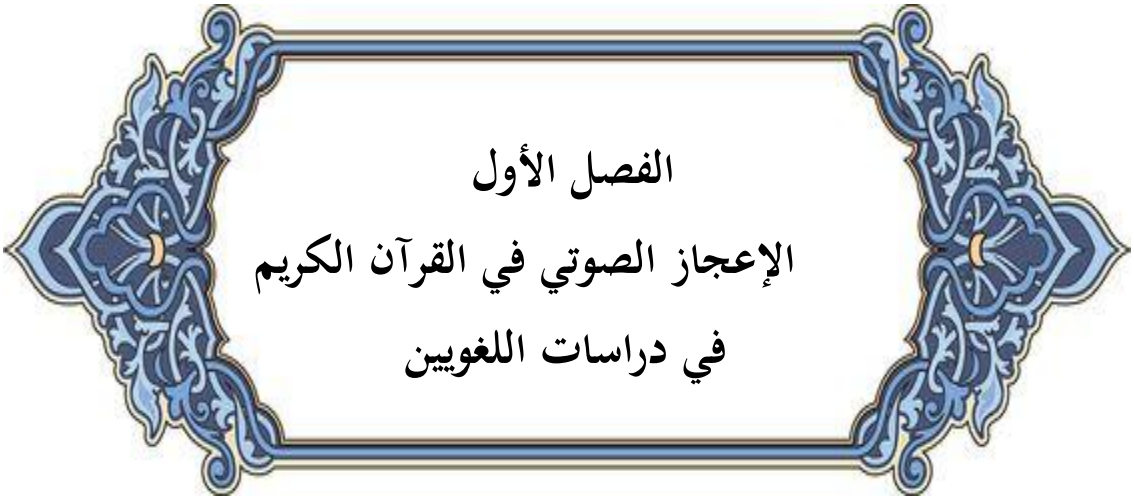

الفصل الأول

الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم

في دراسات اللغويين

يشتمل هذا الفصل على مبحثين هما:

- ✓ **الإعجاز الصوتي عند القدماء**
- ✓ **الإعجاز الصوتي عند المحدثين**

وقد توقفنـا في المبحث الأول عند ثلاثةٍ من العلماء القدامى ممن اشتغلوا بالإعجاز القرآني، وأشاروا إلى الجانب الصوتي منه، وهم: الجاحظ (ت 255هـ)، والخطابي (ت 388هـ)، والباقلاني (ت 403هـ)، وأما في المبحث الثاني فقد توقفنا على ثلاثة معاصرين وهم: محمد عبد الله دراز (ت 1958م)، ومصطفى صادق الرّافعي (ت1937م)، وعائشة عبد الرحمن (ت 1998م).

المبحث الأول: الاعجاز الصوتي عند اللغويين القدماء

من العلماء اللغويين القدامى الذين تناولوا إعجاز القرآن وأشاروا في مؤلفاتهم إلى الجانب الصوتي، نجد من تلك المؤلفات وأولها كتاب "الجاحظ" الذي سماه (نظم القرآن) الذي لم يصل إلينا لكن نجد تفصيله في كتابه "البيان والتبيين"، ثم يليه في التأليف "الامام الخطابي ـرحمه الله ـ" في رسالته (بيان إعجاز القرآن)، ثم تلاهم القاضي "أبو بكر الباقلاني" في كتابه (الاعجاز القرآن).

- **الجاحظ[1](ت 255هـ):**

إنّ دافع الجاحظ للحديث عن إعجاز القرآن والتأليف فيه هو ردةُ على أستاذه النظام إبراهيم بن يسار (ت 231هـ) وأنصاره القائلين بالصرفة، فألف كتاباً سماه "نظم القرآن"، فهو أول من ألف كتاباً في شأن القرآن، فكان غياب لفظ الإعجاز في كلام أبي عثمان هو الذي دعاه إلى تسميته بنظم القرآن[2]. ويعد الجاحظ أول من استعمل مصطلح "النظم" يقول مصطفى صادق الرافعي: "فصنف أديبنا الجاحظ المتوفي سنة 255هـ كتابه (نظم القرآن) وهو

[1] هو أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب بن فزارة الليثي البصري الكناني بالولاء المعتزلي الملقب بالجاحظ ،كبير أئمة الادب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. ولد في البصرة وتوفي فيها. ترك كتباً كثيرة يصعب حصرها ، إلا أن أشهرها : البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، ونظم القرآن، والحجة والنبوة، والرسائل وغيرها، توفي سنة 255هـ،869م. ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت_لبنان، 1980م، ج5، ط5، ص74، وسير أعلام النبلاء،الذهبي، ج11، ص526، 530.

[2] ينظر: مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، أحمد أبو زيدن، دار الأمان، الرباط، المغرب، ص53. وينظر: مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، محمد رفعت أحمد زنجير، ص64، 65.

فيما ارتقى إليه بحثنا أول كتاب، أفرد لبعض القول في الاعجاز أو فيما يهيء القول فيه"[1]. وهذا الكتاب مفقود لكن عنوانه يدل على محتواه والغاية التي ألف من اجلها يقول الجاحظ "ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن الكريم، لتعرف بها فضل ما بين الايجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات"[2].

تطرق الجاحظ في كتابه إلى بلاغة القرآن من خلال نظمه العجيب، وأفكاره في نظم القرآن؛ فهو يرى بأن إعجاز القرآن يكمن في نظم تأليفه؛ وعمدة رأيه: "إذ يرى وجه الإعجاز في النظم، لا يرى النّظم نظما إلاّ إذا كان على شيء من السّعة والامتداد، بحيث يحمل معنى مؤلفا من حقائق مترابطة، يسنّد بعضها بعضا، فتشكّل منها صورة سويّة الخلق، أما النظم الذي يقوم على جملة أو كلمة، أو كلمتين، فلا يدخل في هذا الباب، ولا يعدّ نظماً ينكشف به معدن الكلام ويبين فضله"[3].

ولم يكن يرى في "الصرفة" التي قال بها أستاذه وأنصاره من أهل الاعتزال وجها من وجوه الاعجاز، وأن العرب عاجزون عن الإتيان بمثله، حيث يقول: "ولو أن رجلاً قرأ على رجل من خطبائهم وبلغائهم –أي العرب– سورة قصيرة أو طويلة، لتبين له في نظامها ومخرجها من لفظها وطابعها، أنه عاجز عن مثلها، ولو تحدى بها أبلغ العرب لأظهر عجزه عنها"[4].

نلاحظ أن الجاحظ يرى أن الإعجاز القرآني يكمن في نظمه أولاً كما أشار في العبارة السابقة إلى قضية المخارج واللفظ وطبيعته، كما يرى الجاحظ أن إعجاز القرآن يكمن كذلك في أسلوبه العجيب المباين لأساليب العرب، وما يطوى فيه من سجع[5]، ولا يخفى ما في ذلك من إشارات الى الجانب الأسلوبي الذي يقوم على الصوت والسجع وحسن التركيب، فقد فتح الجاحظ بذلك الباب الاعجاز الصوتي لمن أتى بعده في إشارة إلى الجانب الصوتي، ويبدو أن الجاحظ الذي أسس هذه النظرة والذي نحا الدارسون نحوه، هو أوّل من يبدي تأمّلا عميقا

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1425هـ، 2005م، ص106.

[2] الحيوان، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، لبنان–بيروت، ج3، 1416هـ، 1996م، ص86.

[3] الإعجاز في دراسات السابقين، الخطيب عبد الكريم، دار الفكر العربي، ط1، 1974هـ، ص172، 173.

[4] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص225.

[5] ينظر: البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص383

فاحصا في ملاءمة المفردة لموضوعها من خلال الفروق اللغوية، واحتواء المفردة لمخزون فكري خاص يعني أن الكلمات ليست متساوية في حجم المعنى وكيفيته، إذ يقول في البيان والتبيين: "وقد يستخفّ الناس ألفاظا ويستعملونها، وغيرها أحقّ بذلك منها"[1].

يرى الجاحظ أن للحروف وللكمات فصاحة، عندما تتلاءم حروفها ولا تتجافى مخارجها، ولا يكون فيها تكرار[2]، ويبدو أن الذوق الفطري كان عند الجاحظ هو الذي يرفض التنافر، لنبوّ المسموع على الآذان[3].

ويقول أيضا: "ولا يجوز أن يطبقوا على ترك المعارضة وهم يقدرون عليها، لأنه لا يجوز على العدد الكثير من العقلاء والدهاة والحلماء، مع اختلاف عللهم، وبعد هممهم، وشدة عداوتهم الإطباق على بذل الكثير، وصون اليسير؛ وهذا من ظاهر التدبير، ومن جليل الأمور التي لا تخفى على الجهال فكيف على العقلاء، وأهل المعارف فكيف على الأعداء، لأن تحبير الكلام أهون من القتال، ومن إخراج المال"[4].

ومنه نستطيع أن نلخص نظرية الإعجاز عند الجاحظ بما يلي[5]:

1. القرآن بليغ من حيث ألفاظه المختارة المنتقاة، ومن حيث نظمه ورصفه، التي تقوم على إبداع في الإيجاز والتشبيه والمجاز.

2. القرآن معجز من حيث الصرفة، ولكنها تختلف كثيراً عن تلك التي ذكرها استاذه النظام من قبل؛ ولذا فهو يرد عليه في كتابه نظم القرآن، فأساس نظرية الإعجاز، وعمود القول فيه بلاغته أولا، أما القول بالصرفة فإنما تأتي في المرتبة الثانية، فهو دليل يضاف إلى دليل عجز العرب عن محاكاة القرآن في أسلوبه ونظمه.

---

[1] البيان والتبيين، الجاحظ، ج1، ص41.

[2] ينظر: المعجزة الكبرى القرآن، محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، دار الفكر العربي، ص75.

[3] جماليات المفردة القرآنية، أحمد ياسوف، دار المكتبي، سورية _دمشق، 1419هـ، 1999م، ط2، ص180.

[4] الرسائل، الجاحظ، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، ج3، ص276.

[5] اعجاز القران الكريم، فضل حسن عباس، جامعة القدس المفتوحة، عمان– الأردن، ط2، 1997م، ص58.

• **الخطابي[1](ت388هـ):**

اعتنى الخطابي في رسالته (بيان إعجاز القرآن) برد على القائلين بالصرفة، وبإظهار أهمية النظم وتبيين سر إعجازه في القرآن الكريم، إذ يقول في ذلك: "واعلم أن القرآن إنما صار معجزا لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمنا أصح المعاني"[2]، إذ ذهب إلى أن سبب إعجاز القرآن هو بلاغته التي حازت من طبقات الكلام أرفعها (البليغ، الرصين، الجزل)وأوسطها (الفصيح، القريب، السهل) وأدناها (الجائز، الطلق، الرسل)، فحازت بلاغاتُ القرآن من كل قسم من هذه الأقسام حصةً، وأَخذت من كل نوع من أنواع شعبة، فانتظم لها بامتزاج هذه الأوصاف نمط من الكلام يجمع صفتي الفخامة والعذوبة، وهما على الانفراد في نعوتهما كالمتضادين لأن العذوبة نتاج السهولة[3]. ثم يقول: "وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى به قائم، ورباط لهما ناظم. وإذا تأَملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة حتى لا ترى شيئًا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظمًا أحسن تأليفًا وأشد تلاؤمًا وتشاكلاً من نظمه.

ففصاحة ألفاظ القرآن وحسن نظمه وتأليف هو تراكيبه اللغوية المنتظمة هي التي كانت وراء إعجازه وليس الصرفة.

وبالإضافة إلى الألفاظ والمعاني تحدث الخطابي عما سماه رسوم النظم عندما قال: "أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، أنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، به تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان"[4].

وأمّا حديثه عن الاعجاز الصوتي فإننا لا نكاد نلمحه إلا في موضع واحد إذ يقول: "وقلت

---

[1] حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي المكنى بأبي سليمان ولد سنة 319هـ؛ كان فقيهاً أديباً محدثاً له التصانيف البديعة منها: غريب الحديث، معالم السنن في شرح سنن أبي داود، أعلام السنن في شرح البخاري، وكتاب "الشحاح"، وكتاب "شأن الدعاء"، وكتاب "إصلاح غلط المحدثين" وغير ذلك، توفي سنة 388هـ، ينظر: سير أعلام النبلاء، الذهبي، ج17، ص23، ووفيات الأعيان، ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، 1900م، ج2، ص214.

[2] بيان إعجاز القرآن، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، 1976م، ص27.

[3] المصدر نفسه، ص26.

[4] المصدر نفسه، ص36.

في إعجاز القرآن وجها آخر ذهب عنه الناس فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ في آحادهم وهو صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس فإنك لا تسمع كلاما غير القرآن منظوما ولا منثورا إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ومن الروعة والمهابة في حال أخرى"[1]، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[الحِجر:94] فقد لمح الإيحاء الصوتيّ في لفظ (الصّدع) وما يُلقيه في ذهن السّامع من صوت الكسر، قائلاً: "وهو أبلغ من قوله: (فاعمل بما تؤمر) وإن كان هو الحقيقة، والصدع مستعار، وإنما يكون ذلك في الزجاج ونحوه من فِلِزِّ الأرض، ومعناه المبالغة فيما أمر به حتى يؤثر في النفوس والقلوب تأثير الصدع في الزجاج ونحوه"[2].

- **الباقلاني[3](ت: 403هـ):**

اعتنى الباقلاني كثيرا بمباحث الإعجاز وخصص لذلك كتابا مستقلا سماه (إعجاز القرآن)، فقد سار الباقلاني على خُطَى الخطابي عند وقوفه على الوجه البلاغي للإعجاز، فهو يرى أن القرآن معجز من ثلاث أوجه: "أحدها ما فيه من عجيب النظم، وبديع الوزن والرصف المخالف لجميع أوزان العرب ونظومهم، والوجه الآخر ما تضمنه من أخبار الغيوب، والوجه الثالث شرح أقاصيص الأولين وسنن النبيئين وأحوال الأمم المتقدمين"[4].

تـأثر الباقلاني بفكرة الجاحظ التي ذهب فيها إلى أن الاعجاز في القرآن يعود إلى نظمه وأسلوبه العجيب الذي يخالف أساليب العرب في الشعر والنثر[5]،فقد قال بأنّ بلاغة القرآن معجزة بنظمها، بقوله عن القرآن: "أنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة، إلى

---

[1] البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1957م، ج2، ص106.

[2] بيان إعجاز القرآن، الخطابي، ص44.

[3] هو القاضي أبو بكر، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم، البصري، ثم البغدادي، ولد سنة 338هـ، صاحب التصانيف الكثيرة المشهورة في علم الكلام وغيره، صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة، والخوارج والجهمية والكرامية، وانتصر لطريقة أبي الحسن الاشعري، من مؤلفاته: إعجاز القرآن، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، توفي في ذي القعدة سنة ثلاث وأربع مئة. ينظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي، ج17، ص190، 193، ووفيات الأعيان، ابن خلكان، تح: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، 1971م، ط1، ج4، ص269، 270.

[4] الانتصار للقرآن، القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني، تح: محمد عصام القضاة، دار الفتح للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، ج1، ص66، 67.

[5] البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، 1965م، ط9، ص108، 109.

الحدِّ الذي يُعلَم عجزُ الخلق عنه، فالذي يشتمل عليه بديع نظمه المتضمن للإعجاز وجوهٌ منها: مايرجع إلى الجملة، وذلك أنّ نظم القرآن على تصرُّف وجوهه، واختلاف مذاهبه، خارج عن المعهود من نظام جميع كلامهم، ومُباينٍ للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوبٌ يَختصُّ به، ويتميّز في تصرّفه عن اساليب الكلام المعتاد"[1]، يقول الباقلاني في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ(52) صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: 52،53]، "فانظر إن شئت إلى شريف هذا النظم، وبديع هذا التأليف وعظيم هذا الرصف، كل كلمة في هذه الآية تامة، وكل لفظ بديع واقع"[2].

يعد الباقلاني من أوائل العلماء الذين ركزوا على الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم، فإنّ "أهم ما طلع به علينا الباقلاني بخصوص الإعجاز الصوتي في القرآن فهو التفاتته الرائعة إلى فواتح السُّوَر من الحروف المقطّعة التي افتُتِحَت بها سِتٌّ وعشرون سورة مكية، وثلاث سور مدنية، وما قدّمَه من تصنيف صوتيّ لهذه الحروف"[3]، فقد أدرج في كتابه جملة من المظاهر المتعلقة بالإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، ومن أهم ما تناوله يتمثل في:

- **الاعجاز الصوتي في فواتح السور**: قائلاً: "تحداهم أن يأتوا بمثل الحروف التي هي نظم القرآن، منظومة كنظمها متتابعة كتتابعها مطردة كاطرادها، ولم يتحداهم إلى الكلام القديم"[4]، ويقول مؤكداً: "ليس الإعجاز في نفس الحروف وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها، وكونها على وزن ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم، ووجودها متقدمة ووجودها متأخرة"[5].

---

[1] إعجاز القرآن، القاضي أبو بكر محمد بن الطيِّب الباقلاني، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، ص35.

[2] المصدر نفسه، ص186، 187.

[3] الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (نظرة في كتب الباحثين العرب القدامى والمعاصرين)، سيد علي مير لوحي وماجد النجار، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد9، ص36.

[4] إعجاز القرآن، القاضي أبو بكر محمد بن الطيِّب الباقلاني، ص260.

[5] تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، القاضي أبو بكر محمد بن الطيِّب الباقلاني، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، 1987م، ط1، ص177، 178.

فقد افتُتِحت بعض السُّوَر في القرآن الكريم بحروف مقطعة بصور مختلفة من حيث عدد الأحرف المستَفتَح بها، وذلك بالشكل التالي:

الافتتاح بحرفٍ واحدٍ، كما في: (ص) و (ق) و (ن)، في سور: ص، ق، و القلم.

الافتتاح بحرفَين، كما في: (طه) و (طس) و (يس) و (حم)، موزَّعة على تسع سُوَر هي: طه، والنمل، ويس، وغافر، وفُصِّلَت، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

الافتتاح بثلاثة أحرف، كما في: (الم) و (الر) و (طسم)، موزّعة على ثلاث عشرَة سورة هي: البقرة، وآل عمران، ويونس، وهود، ويوسف، وإبراهيم، والحِجر، والشعراء، والقصص، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسّجدة.

الافتتاح بأربعة أحرف، كما في: (المص) و (المر)، في سورَتَي الأعراف والرعد.

الافتتاح بخمسة أحرف، كما في: (كهيعص) و (حمعسق)، في سورَتَي مريم والشورى[1].

وقد شغلت فواتح السُّوَر من حروف الهجاء العلماءَ كثيراً،كان أوّلُ مَن أشار إلى ذلك ودَوَّنَه في كتابه هو الباقلاني حيث قال عن فواتح السُّوَر أو الحروف المقطّعة[2]، بقوله: "إنّ الحروف التي بُنِيَ عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً، وعدد السُّوَر التي افتُتِح فيها بذكر الحروف ثَمان وعشرون سورة. وجملة ما ذُكر من هذه الحروف في أوائل السُّوَر من حروف المعجم نصف الجملة، وهو أربعة عشر حرفاً، ليدلَّ بالمذكور على غيره، وليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم"[3].

ثم يُقسّمُ الباقلاني الحروف العربية، تبعًا لما قسّمهُ أهل العربية، إلى قسمين رئيسيين:

الحروف المهموسة: وهي عشرة حروف: الحاء، والهاء، والخاء، والكاف، والشين، والثاء، والفاء، والتاء، والصاد، والسين.

الحروف المجهورة: وهي جميع الحروف الأخرى، ما عدا الحروف العشرة المذكورة في القسم

[1] ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، الزمخشري، دار الكتاب العربي – بيروت، 1407هـ، ط3، ج1، ص30، 31.

[2] ينظر: الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (نظرة في كتب الباحثين العرب القدامى والمعاصرين)، سيد علي مير لوحي وماجد النجار، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد9، ص37.

[3] إعجاز القرآن، القاضي أبو بكر محمد بن الطيِّب الباقلاني، ص71.

الأول[1]، ثم يُضيف أنّ ما وَرَدَ في هذه الحروف المقطّعة هو نصف الحروف الحلقية، ونصف الحروف الشديدة، ونصف الحروف المطبقة[2].

المبحث الثاني: الاعجاز الصوتي عند اللغويين المحدثين

تتمثل جهود الباحثين المحدثين في الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم في أن دراساتهم تميزت بالمزج بين الإعجاز البياني والفني معاً أي على الصوت والإيقاع، وعلى كثرة هؤلاء الباحثين سنقتصر الحديث على ثلاثة أعلام كان لهم الفضل الكبير في هذا المجال، وسأخص بذكر الدكتور محمد عبد الله دراز في مؤلفهِ "النبأ العظيم"، والأستاذ الأديب مصطفى صادق الرّافعي في مصنفهِ "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، والدكتورة عائشة عبد الرحمن في مؤلفها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق".

•محمد عبد الله دراز[3](ت1958م):

ألف الدكتور محمد عبد الله درازكتابه الماتع "النبأ العظيم"، حيث قسمه في مبحثين تحدث فيهما عن:

1- بيان مصدر القرآن الكريم.

2- إعجاز القرآن، وذكر فيه ثلاثة أوجه من الإعجاز:

1 - الإعجاز اللغوي.

2 - الإعجاز العلمي.

3 - الإعجاز التشريعي[4].

وقد فصل في الوجه الأول؛ لأنه هو الذي وقع من جهته التحدّي بالقرآن بحث يذكر دراز في هذا أن أول ما بهر العرب من هذا الكتاب الكريم نظامه الصوتي، إذ بيّن فيه وجه جديد من

---

[1] ينظر: المصدر نفسه، ص44.

[2] الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (نظرة في كتب الباحثين العرب القدامى والمعاصرين)، سيد علي مير لوحي وماجد النجار، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد9، ص36.

[3] هو محمد بن عبد الله فقيه متأدب مصري أزهري ولد سنة 1894م، كان من هيأة كبار العلماء بالأزهر، له كتب عديدة منها: الدين، دراسة تمهيدية لتاريخ الإسلام، والنبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، توفي سنة 1958م، ينظر: تتمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم، بيروت، 1422 هـ، ط2، ج6، ص246.

[4] النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، دار الثقافة _الدوحة، 1985م، دط، ص79.

وجوه الإعجاز القرآني وهو "الإيقاع الصوتي"[1]، وهذا النظام الصوتي له يتجلى في مظهران اثنان:

المظهر الأول: الجمال التوقيعي وهو ترتيب الحروف في كلماتها في توزيع حركاتها وسكناتها ومدّاتها وغنّاتها، إذ يستهوي الأذن من قبل أن تعرف ذات الحرف وحقيقته[2]،إذ يقول في ذلك: "ويستدعي انتباهك من أسلوب القرآن الكريم خاصية تأليفه الصوتي في شكله وجوهره دع القارئ المجوّد يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله،...ثم انتبذ منه مكانا قصيا لا تسمع فيه جرس حروفه، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها، ومدّاتها وغنّاتها واتصالاتها وسكتاتها، ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جرّدت تجريدا، وأرسلت ساذجة في الهواء، فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر لو جرّد هذا التجريد، وجوّد هذا التجويد"[3].

ثم يُؤَكّدُ دراز أنّ تناغمَ الحروفِ وتناسقَها في القرآنِ الكريمِ لا يُشبهُ تناغمَ الموسيقى ولا أوزانَ الشعرِ، بل يُلامسُ أرواحَنا بِرقةٍ فائقةٍ تُضفي على قراءتهِ لذةً لا تُضاهى، بقوله: "ستجد اتساقا وائتلافا يسترعي من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر على أنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر وستجد شيئا آخر لا تجده في الموسيقى ولا في الشعر ذلك أنك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هي تتحد في الأوزان فيها بيتاً بيتاً وشطراً شطراً وتسمع القطعة من الموسيقى فإذا هي تتشابه أهواؤها وتذهب مذهبا متقاربا فلا يلبث سمعك أن يمجها وطبعك أن يملها"[4]

وأمّا **المظهر الثاني**: الجمال التنسيقي في رصف الحروف وتأليفها من مجموعات مؤتلفة مختلفة، إذ فهو وضع الحروف بعضها مع بعض، فهذا حرف مجهور، وآخر شديد، وثالث مهموس، ورابع فيه صفير، وخامس فيه قلقلة[5]، بقول: "فإذا ما اقتربت بآذانك قليلاً قليلاً، فطرقت سمعك جواهر حروفه خارجة من مخارجها الصحيحة، فاجأتك منه لذة أخرى في نظم تلك

---

[1] ينظر: إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، 1412هـ، 1991م، ص102.

[2] ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، دار القلم –دمشق، 1426هـ، 2005م، ط3، ص104، وينظر: إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، ص108.

[3] النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، 101، 102.

[4] المرجع نفسه، ص102.

[5] ينظر: مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص104، وينظر: إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، ص108.

الحروف ورصفها وترتيب أوضاعها فيما بينها. هذا ينقر، وذلك يصفر، وثالث يهمس، ورابع يجهر، وآخر ينزلق عليه النفس وآخر يحتبس عنده النفس وهلم جرّا"[1].

وهذان المظهران يمثلان جمال الإيقاع في القرآن الكريم، وهو ما يعبر عنه بالجرس الصوتي أو موسيقى الألفاظ[2].

ثم يتحدث الدراز عن الجانب المعنوي وجماله ويسميه اللب الداخلي للصدفة الجميلة وهذه الناحية هي أداة لتصوير المعاني ونقلها من نفس المتكلم إلى نفس المخاطب بها، وهي أعظم الناحيتين أثرا في الإعجاز اللغوي، إذ اللغات تتفاضل من حيث هي بيان، أكثر من تفاضلها من حيث هي أجراس وأنغام[3].

•مصطفى صادق الرّافعي[4](ت1937م):

يُعَدُّ مصطفى صادق الرافعي من أبرز المعاصرين الذين تكلموا في مسألة إعجاز القرآن وذلك في كتابه "إعجاز القرآن والبلاغة النبوية"، فقد خَصَّ الجزءَ الثاني من كتابه "تاريخ آداب العرب" بالحديث عن إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة، ثم جَعَلَ هذا الجزء كتابًا مفردًا بذاته؛ أَوضَح الكتاب سماتِ البلاغة الظاهرة في الخطاب الإسلامي بشِقَّيه الإلهي والنبوي، فجاء في قسمَين؛ قدَّم أولُهما رصدًا دقيقًا لملامح الإعجاز القرآني، حيث تَطرَّق إلى الحديث عن وجه الإعجاز في الأحرُف السبعة التي نزَل بها القرآن، ثم أفرَد الكلامَ في القسم الثاني للحديث عن البلاغةِ النبوية وتأثيرِها في اللغة العربية.

لقد اتبع الرّافعي للكشف عن مواطن الإعجاز في القرآن منهجاً دقيقاً كشف عنه في مقدمته بقوله: "بَيدَ أنه لا بد لنا من صدر نبتدئ به القولَ في تاريخه وجمعه وتدوينه وقراءته حتى تكون هذه سبباً إلى الكلام في لغته وبلاغته، ثم إعجازه في اللغة والبلاغة، لأن بعض ذلك

[1] النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، محمد بن عبد الله دراز، ص103، 104.

[2] إعجاز القرآن الكريم، فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، ص108.

[3] مباحث في إعجاز القرآن، مصطفى مسلم، ص105.

[4] هو مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي عالم بالأدبشاعر من كبار الكتاب ولد سنة 1881م، أصيب بصمم فكان يُكتب له ما يراد مخاطبته به، كان ثريّ الإنتاج فمن مؤلفاته: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، تحت راية القرآن، وحي القلم، رسائل الأحزان وغيرها، توفي سنة 1937م، ينظر: تتمة الأعلام، محمد خير رمضان يوسف، ط2، ج7، ص235.

يريد بعضه"[1]؛ فـالقرآن عنده معجز من جهات ثلاث:من حيث تاريخه، وآثاره، وحقائقه، بقولـه: "فالقرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب، ومعجز في أثره الإنساني؛ ومعجز كذلك في حقائقه؛ وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء؛ فهي باقية ما بقيت"[2].

ورأى أن سر إعجاز القرآن في نظمه؛ بقولـه: "أن القرآن الكريم إنما ينفرد بأسلوبه، لأنه ليس وضعاً إنسانياً ألبتة، ولو كان من وضع إنسان لجاء على طريقة تشبه أسلوباً من أساليب العرب أو من جاء بعدهم إلى هذا العهد، ولا من الاختلاف فيه عند ذلك بد في طريقته ونسقِه ومعانيه، قال تعالى:﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾[النساء: 82]، ولقد أحسَّ العرب بهذا المعنى واستيقنه بلغاؤهم ولولاه ما أفحمواولا انقطعوا من دونه، لأنهم رأوا جنساً من الكلام غير ما تؤديه طباعهم، وكيف لهم في معارضته بطبيعة غير مخلوقة"[3].

فـالنظم عنده ثلاث مستويات: الحروف وأصواتها، الكلمات وحُروفها، الجمل وكلماتها[4]؛ فهو يرى أنّ استقرار الحرف في الكلمة، وتوازن الكلمة مع الكلمة في الجملة، وتجاوب الجملة مع الجملة، كل هذا من شأنه أن يقيم أسلوباً فريداً في النّظم، تتوهمه العرب ولا تحققه، وتتظنّا ولا تقع على ظلّه[5].

فبالنسبة للحروف وأصواتها: إنّ الحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً[6]، فيرى الرافعي بأن إعجازها يكمن في روح الانسجام المتولّد من ترتيب أصواتها ومخارجها حسَب طبيعة مقام الكلام[7] وما يحققه النّظم الموسيقي في القرآن بإعجازه الساحر يقول الرّافعي: "وحسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد،

---

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص25.

[2] المرجع نفسه، ص109.

[3] المرجع نفسه، ص141.

[4] المرجع نفسه، ص146.

[5] الإعجاز في دراسات السابقين، الخطيب عبد الكريم، ص338، 339.

[6] المرجع نفسه، ص146.

[7] حقيقة الإعجاز عند الرافعي، عز الدين بوبيش، أستاذ مكلف بالدروس معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد1، المجلد 14، 1999م، ص79.

ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبةِبعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق، والتفشي والتكرير"[1].

ويقول عن أصوات الحروف وحسن تنظيمها وتوزيعها في التعبير القرآني: "وأصوات الحرف إنما تنزل منزلة النبرات الموسيقية المرسلة في جملتها كيف اتفقت، فلا بد لها من ذلك من نوع في التركيب وجهة من التأليف حتى يمازج بعضها بعضاً، ويتألف منها شيء مع شيء،فتتداخل خواصها، وتجتمع صفاتها، ويكون منها اللحنُ الموسيقي، ولا يكون إلا من الترتيب الصوتي الذي يثير بعضه بعضاً على نِسب معلومة ترجع إلى درجات الصوت ومخارجه وأبعاده"[2].

وبالنسبة للكلمات وحروفها: يرى الرافعي أنّ إعجازها يكمن في مواقعهاوطريقة نظمهاومداورتها للمعنى[3]، فهو بذلك يؤكد صلة الحروف ببعضها البعض في الكلمة الواحدة بما تحققه من الإيقاع الصوتي مع الدلالة المؤثرة؛ أي المعنى المراد، فالمعنى الواحد يعبر عنه بألفاظ عدة وهو شرط من شروط الفصاحة[4]. إلى جانب ذلك فإنه درس الكلمات من ثلاثة جوانب وهي:

صوت النفس: وهو الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النغم بالحروفومخارجها وحركاتها ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه على طريقة متساوقة وعلى نضد متساو، بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس، إن وقف عندها هذا المعنى قطع به.

صوت العقل: وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام،ومن الوجوه البيانية التي يداورُ بها المعنى، لا يخطئ طريقَ النفس من أي الجهات انتحى إليها.

صوت الحس: وهو أبلغهن شأناً، لا يكون إلا من دقة التصور المعنوي، والإبداع في تلوين الخطاب، ومجاذبة النفس مرة وموادعتها مرة، واستيلائه على محضها بما يورد عليها من وجوه

[1] إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص148، 149.

[2] المرجع نفسه، ص148.

[3] المرجع نفسه، ص154.

[4] ينظر: المرجع نفسه، ص155.

البيان،أو يسوق إليها من طرائف المعاني[1].

ومنه فالألفاظ القرآنية تنتظم انتظاماً دقيقاً يأتلف مع أصوات الحروف بما تحققه من النّغم الموسيقي، وهذا ما أشار إليه بقوله: "ولو تدبرتَ ألفاظ القرآن في نظمها، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضاً، ولن تجدها إلا مؤتلفةً مع أصوات الحروف، مُساوقةً لها في النظم الموسيقي"[2]، ومن ذلك لفظة (النذرُ) من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَنذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾[القمر: 36]، إذ يقول الرّافعي: "فتأمل هذا التركيب، وأنعم ثم أنعم على تأمله، وتذوق مواقع الحروف وأجر حركاتها في حس السمع وتأمل مواضع القلقلة في دال (لقد) ،وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء إلى واو (تماروا)، مع الفصل بالمد، كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان، ليكون ثقل الضمة عليهمستخَفاً بعد، ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة. ثم ردد نظرك في الراء من (تمارَوا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها، فلا تجف عليه ولا تغلظ ولا تنبو فيه، ثم أعجب لهذه الغنة التي سبقتالطاء في نون (أنذرَهم) وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر)"[3].

وأمّا بالنسبة للجملة وكلماتها: إنّ الجملة عند الرّافعي مظهر الكلام، وهذا الكلام لا يكون معجِزاً في رأي الرافعي إلاّ "إذا بَعُدَ وأمعن حتى يكون بدقائق تركيبه وطرفِ تصويره كأنما يفيض النفسَ على الحواس إفاضة، ويترك هذا الإنسان من الإحساس به كأنه قلب كله، ثم يبلغ من ذلك إلى أن يكون روح لغة كاملة وبيان أمة برفتها، لا يحيله الزمن عن موضعه، ولا يقلبه عن جهته، وإلى أنيجعل البلغاء على تفاوتهم فيما بينهم، وعلى اختلاف عصورهم وأسبابهم المتلاحقة، وكأنهم معه طبقة واحدة وفي طوقٍ واحد من العجز؛ يعنيهم طلبه، ويعنِتهم إدراكه ويعرفون تركيبه ثم لا يجدون له مأتى من النفس ولا وجهاً من القدرة فذلك هو الكلام

[1] المرجع السابق، ص152.

[2] المرجع نفسه، ص156.

[3] المرجع نفسه، ص157.

المعجز"[1]، حيث يوضح الرافعي عوالم الكلام فيقسمه إلى نوعين رئيسين:

النّوع الأول: الطبيعي الذي لا يزيد من فضيلة المتكلم أكثر مما تزيد الحواس نفسها في هذا المتكلممن فضيلة الإنسانية.

النّوع الثاني: غير طبيعي ترى فيه النّفس الأشياء وتحسّها وتصوّرها، وهي الصورة النفسية للتأليف الطبيعي[2].

ومنه فإنَّ أوجه الإعجاز فيها هو دقّة تركيب الكلام الذي انتظم من الصّوت في الحرف، إلى الحرف في الكلمة، للدَّلالة على معنى هو من أسرار تركيبها، وإنّ مِن أعجزِ ما يحقّق هذا الإعجاز هو أنّ معاني جمل القرآن لو أُلبست ألفاظًا أخرى من نفس العربية ما جاءت في نمطها وإيقاعها، ولا أدّت ما أدّته الكلمات التي هي أصل الإعجاز في هذا الترتيب الخالد الذي هو القرآن[3].

•عائشة عبد الرحمن[4](ت1998م):

ألفت عائشة بنت الشاطئ مؤلفها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق"؛ حيث ذكرت فيه مؤلفات القدماء الذين كتبوا في هذا الجانب من الإعجاز كالخطابي والرماني والباقلاني وغيرهم، مع ضرب الأمثلة والاستشهادات من كتبهم.

تناولت عائشة بنت الشاطئ في الفصل الأول قضية الاعجاز ووضحت اسهاماتها دون إنكارٍ منها لجهود السابقين، إذ تقول: "لعل من إعجاز القرآن أن تظل الأجيال تتوارد عليه جيلا بعد جيل، وهو رحب المدى سخى المورد، كلما حسب جيل أنه بلغ منه مبلغاً، امتد

---

[1] المرجع نفسه، ص163، 164.

[2] المرجع السابق، ص163.

[3] حقيقة الإعجاز عند الرافعي، عز الدين بوبيش، ص83.

[4] هي عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، ولدت في محافظة دمياط بشمال دلتا مصر، في 7 ذو الحجة 1331 هـ، الموافق ل6 نوفمبر سنة1913م، مفكرة وكاتبة مصرية، وأستاذة جامعية وباحثة، وهي أولا مرأة تحاضر بالأزهر الشريف، ومن أوليات من اشتغلن بالصحافة في مصر وبالخصوص في جريدة الأهرام، وهي أول امرأة عربية تنال جائزة الملك فيصل في الآداب والدراسات الإسلامية، من مؤلفاتها: التفسير البياني للقرآن الكريم، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق والقرآن، قضايا الإنسان، من أسرار العربية في البيان القرآني، والقرآن والتّفسير العصري، توفيت يوم الثلاثاء، 11 شعبان 1419 هـ،الموافقل1 ديسمبر 1998م، ينظر: موسوعة العرب المبدعين في القرن العشرين،خليل أحمد خليل، دار الفارس، عمان، 2001م، ط1، ص753، 754، 755، 756، وينظر: على الجسر بينالحياة والموت، عائشة محمد علي عبد الرحمن بنت الشاطئ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1986م، ص16.

الأفق بعيدا وراء كل مطمح وفوق كل طاقة ومع إدراكي أن الإعجاز البياني للقرآن يفوت كل محاولة وجهد، أتقدم في خشوع إلى الميدان الجليل فأضع إلى جانب محاولات السلف الصالح، ما هدى إليه عكوفي الطويل على تدبر كلمات الله، من وجهٍ في هذا الإعجاز:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الحشر: 21]"[1]؛ فمفهوم الإعجاز عندها هو: "أنه أعجز البلغاء من العصر الأول، عن معارضة القرآن، وفيهم أصل الفصاحة، برهان قاطع في قضية التحدي، فحين نقول إنها حَسمت في عصر المبعث، فلا يمكن بحال ما أن تُحمل هذا القول على مظنة اختصاص إعجازه بعصر المبعث دون سائر الأعصار، وإنما معناه أن من هم أصل العربية، لغة القرآن، هم الذين يُفترض أن يواجَهوا بالتحدي، لما يملكون من أسرار لغتهم التي نزل بها الكتاب العربي المبين. فاختصاصهم بالتحدي جاء من كونهم أهل الاختصاص بالعربية لغة القرآن، وقد حسمها عجزهم عن أن يأتوا بسورة من مثله"[2].

تناولت بنت الشاطئ في نفس الفصل وجوه الإعجاز البياني للقرآن، وترى أربعة وجوه لهذا الإعجاز:

أولاً: الصرفة: وهيأن الله تعالى صرف الهمم عن معارضته، إذ تقول نقلاً عن ابن كثير: "إن كان القرآن معجزاً في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ولا في قواهم معارضتُه، فقد حصل المدعَّى وهو المطلوب. وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا مع شدة عداوته له، كان ذلك دليلاً على أنه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك"[3].

ثانياً: الإعجاز بقيمه ومثله وأحكامه: إذ تقول: "ووجههُ استحالةُ أن يأتي مثلها من بشر أمي في قوم أميين، في زمان ومكان هيهات أن يشارفا ذلك الأفق القرآني العالي...بل إنهم لم يستطيعوا فصل الأحكام والقيم والمثل القرآنية، عن النظم البليغ المعجز الذي نزلتْ به"[4].

---

[1] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، دار المعارف، القاهرة، ط3، دت، ص36، 37.

[2] المرجع نفسه، ص78.

[3] المرجع نفسه، ص89.

[4] المرجع نفسه، ص90.

ثم تورد قول الخطابي الذي جاء شرحاً لهذا الوجه من الإعجاز:

"وأعلم أن القرآن إنما صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مضمناً أحسن المعاني"، فإعجاز القيم والمثل والأحكام القرآنية، ليس موضع جدل أو خلاف، لكنه كما التفت الخطابي "ليس بالأمر العام في كل سورة من سور القرآن، وقد كانت المعاجزة بسورة واحدة، ومعلوم بالضرورة أن سورة واحدة لا تجمع كل ما ذكروه من أحكام القرآن ومعانيه ومثله وآدابه"[1].

ثالثاً: إخبار عن الغيب: أوردت في هذا الوجه أقوال العلماء القدامى، ومنهم الخطابي بقوله: "وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان. نحو قوله سبحانه:﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾[الروم: 1-4]، وكقوله سبحانه: ﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾[الفتح: 16]، ونحوهما من الأخبار التي صدقت"[2].

إذ تقول: "ولا يُشَك في أن هذا وما أشبهه من أخباره، نوع من أنواع إعجازه... وارد على من ذهبوا إلى أن القرآن كان معجزاً، بما جاء به من أخبار الماضي الغابر، ووجهه أنه كان معلوماً من حال النبي – صلى الله عليه وسلم – أنه كان أمياً، ولم يكن يعرف شيئاً من كتب المتقدمين وأنبائهم وسيرهم. ثم أتى القرآن بجمل ما وقع وحدث من عظيمات الأمور ومهمات السير، من حين خلق الله آدم عليه السلام إلى حين مبعث محمد – صلى الله عليه وسلم – "[3].

رابعاً: الإعجاز البلاغي: ترى أن هذا الوجه هو أعظم وجوه الإعجاز وذلك باهتمام العلماء به بتسخيرجهودهم وتكريس أوقاتهم حيث ألفوا فيه العديد من الكتب والمصنفات، قائلةً: "والإعجاز البلاغي هو الذي ذهب إليه الأكثرون من علماء أهل النظر، وسيطر على مباحث المتكلمين في الإعجاز، سواء منهم من جعلوه الوجهَ الذي يصح به التحدي بالسورة الواحدة من القرآن، ويفسر موقف العرب، عصرَ المبعث، من المعجزة، والذين ذكروا مع إعجازه البلاغي

[1] ينظر: المرجع السابق، ص90، 91.

[2] المرجع نفسه، ص92.

[3] المرجع نفسه، ص92، 93.

غيره من وجوه الإعجاز الأخرى التي لا مشاحة فيها، وإنما الخلاف في أن تنفصل عن إعجاز نظمه وبلاغته"[1]. ثم بسطت مختلف الاجتهادات والمؤلفات التي ذهب إليها الدّارسون السّابقون.

ثم بعد ذلك تناولت في الفصل الثاني مظاهر الاعجاز البياني في القرآن الكريم، وقسمتها إلى ثلاث فصول وهي:

أولاً: إعجاز القرآن في فواتح السور وسر الحرف: إذ تقول: "ما مِنْ حرف في القرآن الكريم تأوَّلوه زائداً أو قدَّروه محذوفاً أو فسرُوه بحرف آخر، لا يتحدى بسرَّه البياني كل محاولة لتأويله على غير الوجه الذي جاء به في البيان المعجز"[2]، والخطابيسبق وأن التفت إلى أن لمح الإعجاز في "اللفظ في مكانه إذا أُبدِل فَسَدَ معناه، أوضاع الرونق الذي يكون منه سقوط البلاغة"[3].

ثم تقول: "ولعل أول ما لفتني إلى سر الحرف والكلمة، وقفتي أمام فواتح السور، وهي الحروف المقطعة التي افتتحت بها سِتٌّ وعشرون سورة مكية، وثلاث من السور المدنية المبكرة، وهذه الفواتح هي الحروف المقطعات أو حروف التهجي، ولكن البلاغي المصري ابن أبي الإصبع صنف كتاباً عنوانه "الخواطر السوانح في أسرار الفواتح"، وقسم هذه الفواتح إلى عشرة أنواع، وهي :

(1) حروف التهجي، (2) الثناء على الله وتسبيحاً، (3) النداء، (4) الجملة الخبرية،
(5) القسم، (6) الشرط، (7) الأمر، (8) الاستفهام، (9) الدعاء، (10) التعليل"[4].

أما فيما يخص دراستها للجانب الصوتي فتذكر "تَنبُّه السلف إلى مجموع هذه الحروف، بغير المكرّر منها، أربعة عشر حرفا، هي نصف الحروف العربية، فيها خمسة مهموسة، وفيها نصف الحروف المجهورة، وفيها ثلاثة من حروف الحلق، هي نصف الحروف الحلقية، وفيها نصف الحروف غير الحلقية، وفيها نصف الحروف الشديدة، ونصف الحروف الرخوة، وفيها

[1] المرجع السابق، ص94.
[2] المرجع نفسه، ص 139.
[3] المرجع نفسه، ص140.
[4] المرجع نفسه، ص140، 141.

حرفان من الأحرف الأربعة المطبقة، ونصف الحروف الأخرى المنفتحة غير المطبقة، وفيها نصف الحروف المستعلية، ونصف الحروف المنخفضة"[1].

ثم تذكر أقوال المفسرين في هذه الحروف، فخلصت بنت الشاطئ إلى أن الحروف جاءت للتنبيه والتحدي، التنبيه إلى أن هذا الكلام الذي تنطقون به هو من جنس كلامهم الذي تنطقون به، ومع ذلك فأنتم لا تستطيعون الإتيان بمثله، وذلك أنه كانت كل سورة تبتدئ بالحروف المقطعة، كان يذكر بعدها القرآن الكريم مباشرة[2]، قال تعالى: ﴿الم(1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(2)﴾[البقرة:1-2]، وقال تعالى: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾[القلم: 01]، وقال تعالى:﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾[ص: 01]، وقال تعالى:﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾[ق: 01].

ثمّ تُبدي عائشة عبد الرحمن إعجابها بسرّ الحرف، فتقول عن حروف فواتح السور: "حروف صماء، قدتتألف منها أصوات عجماء لا تُبين ولا تنطق، ومنها تصاغ الكلمات فيحقق بها الإنسان آية نطقها وبيانها ويحققآية القراءة والعلم... وبها نزلت آيات المعجزة البيانية، فتجلى سر الكلمة في البيان الأعلى الذي أعيا العربَ أن يأتوا بسورة من مثلها..."[3].

ثانياً: إعجاز القرآن في دلالات الألفاظ وسر الكلمة: تناولت بنت الشاطئ في هذا المظهر قضية الترادف في اللغة العربية، إذ تقول: "وظلت القضية فيما أعلم، معلقة لم يستقر فيها أصحاب العربية على رأى، حتى بعد أن اتصلت دراساتنا اللغوية الحديثة بجديد البحوث غي علوم اللغة والصوت والاجتماع، وإن كان مذهب القول بالترادف هو الذي غلب وراج في

[1] ينظر: توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني عند عائشة عبد الرحمن من خلال كتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق"، ابتسام فارح، والسعيد بوخالفة، كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة، مجلة الإحياء، العدد30، 2022م، ص413، وينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشاطئ، ص141، 142.

[2] اعجاز القران الكريم، فضل حسن عباس، ص123.

[3] ينظر: توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني عند عائشة عبد الرحمن من خلال كتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق"، ابتسام فارح، والسعيد بوخالفة، ص413، وينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشاطئ، ص180.

العصور المتأخرة"[1].

كانت قضية الترادف من بين ما شَغِلَ به المجمع اللغوي في القاهرة، وقد اقترح أحد السادة الأعضاء، أن نتخفف من ثقل المترادفات فنصنف معجماً لألفاظ العربية، فقد مثلت لذلك من القرآن الكريم، بعد استنتاجها أن القرآن: "يستعمل اللفظ بدلالة معينةلا يؤديها لفظ آخر، في المعنى الذي تحشد له المعاجم وكتب التفسير عدداً قلَّ أو كثر من الألفاظ"[2].

ثالثاً: إعجاز القرآن في الأساليب وسر التعبير: تناولت بنت الشاطئ في هذا الجزء قضية الاستغناء عن الفاعل فهو من الظواهر الأسلوبية اللافتة في البيان القرآني، ثم وقفت على أمثلة قسمتها إلى ثلاث ظواهر:

- الاستغناء عن الفاعل بالبناء للمجهول: في مثل آيات:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[الحاقة: 13-14]

وقوله: ﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾[الواقعة: 4-5]

وقوله: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[الفجر: 21].

- الاستغناء عن الفاعل بإسناده إلى غير فاعله، مطاوعة أو مجازاً، كما في آيات:

في قوله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾[القمر: 01]، وقوله: ﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾[الرحمن: 37]، وقوله:﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾[الانفطار:1-2]، فالبلاغيون يقولون في حذف الفاعل: إنه يُحذف للعلم أو الجهل به، أو الخوف منه أو عليه[3].

---

[1] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشاطئ، ص214.

[2] ينظر: اعجاز القران الكريم، فضل حسن عباس، 125. وينظر: الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشاطئ، ص214، 215.

[3] المرجع نفسه، ص240، 241، 242.

ثم تناولت القسم بالواو وخالفت المفسرين فيما ذهبوا إليه، وارتأت إلى أن الواو هنا قد خرجت عن أصل معناها اللغوي، وهو القسم للعظم إلى معنى بلاغي، وهذا يكون توطئة لبيان معنويات يمارى فيها، فالقسم بالفجر والصبح والشمس والنهار، يجلو معاني من الهدى والحق والظلال والباطل[1].

ثم انتقلت للحديث عن **السجع ورعاية الفواصل**، بقولها: "وأنتقل إلى النظر في الفواصل القرآنية التي شغلت السلف واختلفوا فيها اختلافاً بعيداً"[2]، فعند ذكرنا للسجع في الفواصل القرآنية نلتفت مباشرة إلى الجانبالصوتي، وهو ما كان محلّ دراسة عائشة عبد الرحمن في هذا الجزء[3]، ففصلت فيه القول ثم خلصت إلى أن: "ومقتضى الإعجاز أنه ما من فاصلة قرآنية لا يقتضى لفظها في سياقه، دلالة معنوية لا يؤديها لفظ سواه، قد نتدبره فنهتدي إلى سرّه البياني، وقد يغيب نافذ القرار بالقصور عن إدراكه، ولا يُظَن بي أنني أُهوِّن من قيمة التآلف اللفظي والإيقاع الصوتي لهذا النسق الباهر الذي يجتلي فيه فنيَّة البلاغة، تؤذي المعنى بأرهف لفظ وأروع تعبير وأجمل إيقاع"[4].

ومن الأمثلة التي أوردتها قوله تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (5) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (6) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (7) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (8) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (9) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ﴾[الفجر: 1-10]، فأوردت قول الفراء وابن سنان الخفاجي بقولها: "صرح "الفراء" في (معاني القرآن) بأن ياء العلة حذفت من: يسرِ (ى) لمشاكلة رءوس الآيات. وكذلك ذهب "ابن سنان الخفاجي" في (سر الفصاحة) إلى حذفها وحذف باء المنقوص من: بالوادِ (ى)

[1] اعجاز القران الكريم، فضل حسن عباس، ص126.

[2] الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، عائشة بنت الشاطئ، ص253.

[3] توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني عند عائشة عبد الرحمن من خلال كتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق"، ابتسام فارح، والسعيد بوخالفة، ص415.

[4] المرجع نفسه، ص278.

قصداً إلى تماثل الفواصل"[1].

وأخيراً تتحدث بنت الشاطئ عن سر التعبير في قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ﴾[القيامة: 01]، وبعد أن تذكر أقوال العلماء جميعاً وتردها تبين رأيها:

فقد قيل إنها نافية، ومنهم من قال إنها تنفي شيئاً تقدم في سورة أخرى، ومنهم من قال إنها تنفي الفعل أقسم، وقيل هي زائدة، وقيل هي لام الابتداء، وترى هي أن (لا) هنا جاءت لنفي الحاجة للقسم[2].

[1] المرجع نفسه، ص269، 270.

[2] اعجاز القران الكريم، فضل حسن عباس، ص127.

الفصل الثاني

دلالة الصوت في جزء عم في تفسير ظلال القرآن لسيد قطب

المبحث الأول: التعريف بسيد قطب وتفسيره في ظلال القرآن

المطلب الأول: التعريف بسيد قطب

الفرع الأول: مولده ونشأته

سيد قطب بن إبراهيم حسين الشاذلي، مفكر إسلامي مصري، ولد في قرية موشة[1] في أسيوط، كانت ولادته في سبتمبر (أيول) سنة1906م[2]، عاش طفولته وصِباه في قريته موشة ولم يغادرها إلى القاهرة إلاّ بعد الخامسةَ عشرة من عمره.

عاش سيد قطب وسطَ أسرةٍ متآلفة ومتجانسة علاقة أفرادها تقوم على المحبة والمودة، فنشأَ في هذه الأسرة على المعاني الاسلامية والقيم الدينية[3]، له أربعة إخوة وهم: نفيسة، أمينة، محمد، وحميده[4].

لقد كان لوالديه أثر كبير على تربيته وتنشِئتِه، فوالده الحاج قطب إبراهيم كان صالحاً ملتزماً، ووالدته كانت محافظة على دينها، مؤدية لفرائض الاسلام متصلة بالقرآن، فأثرت هذه التربية في نفسه فنشأَ على تعاليمِ الاسلام، وكان حريصاً على ارتياد المساجد وأداءِ الصلوات فيها، وهو طفل صغير، وكان يجلس في دروس العلم في المساجد كالكبار، ويسمعُ تلك الدروس التي يلقيها علماء الأزهر، ويتفاعل معها، ويناقش المدرِّس أحياناً فيها[5].

الفرع الثاني: حياته العلمية والعملية: ونلخص ذلك في ما يلي:

1- الحياة العلمية:

لما ناهزّ سيد قطب السادسة من عمره سنة 1912م أرسله أهله للدارسة في المدرسة[6]، وفي السنة العاشرة من عمره، أتم سيد قطب حفظ القرآن كاملا، وكان في السنة الرابعة

---

[1] مُوشَةُ وهي: قرية من قرى الفيوم بمصر، أتت إمارة مصر من عثمان بن عفان إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح وعزل عمرو بن العاص وهو بها وكان واليا على الصعيد، ينظر: معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، دار صادر، بيروت، 1995م، ط2، ج5، ص223.

[2] ينظر: الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين،2002م، ط15، ج3، ص147، وينظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح عبد الفتاح خالدي، دار القلم- دمشق، 1994م، ط2، ص15.

[3] سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح عبد الفتاح خالدي، ص55.

[4] المرجع نفسه، ص40.

[5] المرجع نفسه، ص33، 55، 56.

[6] المرجع نفسه، ص57.

الابتدائية[1].

درج في مراحل الطفولة الأولى في قريته في أحضان والديه، ثم انتقل إلى القاهرة حيث يسكن خاله، وواصل تعليمه ودخل دار العلوم، وبرزت مواهبه الأدبية إبان دراسته[2]، ففي السنة السادسة عشر من عمره التحق بمدرسة المعلمين الأولية "مدرسة عبد العزيز"، ثم تخرج منها حاملاً معه شهادة الإجازة الكفاءة للتعليم الأولى[3]، ثم التحق سنة 1925م بالمدرسة التجهيزية دار العلوم التي كانت تحت إدارة الكلية دار العلوم وتخرج منها سنة 1929م، ثم التحق بكلية دار العلوم في نهاية نفس السنة وتخرج منها سنة 1933م حاملاً معه شهادة الإجازة العالية الليسانس في اللغةِ العربية وآدابها.

درس سيد قطب في كلية دار العلوم:«العلوم الشرعية، والعربية، والمنطق وعلم الكلام والفلسفة، واللغة العبرية، واللغة السريانية، ومقارنتها باللغة العربية، والتاريخ، والاقتصاد السياسي، وغير ذلك»[4].

أقبل في الأربعينيات على القرآن الكريم، يدرسه دراسةً أدبيّة نقدية، وفكر في إصدار "مكتبة القرآن الجديدة"، ثم صار يدرس الإسلام دراسة فكريّة نظريّة. نقلهُ القرآنُ نقلةً جديدة حيث قاد خطواته إلى طريق الدعوة والعمل والمجاهدة، فسار في هذه الطريق، وقدَّم للدعاة بعض معالمها، ودرس القرآن أثناءَ هذا السير، وقدم تلك الدراسة في تفسيره "في ظلال القرآن"[5].

2- الحياة العملية:

بعد تخرّج سيد قطب من كلية دار العلوم سنة 1933م تم تعيينه مدرساً لمدارس الوزارة، أما المدرسة الأولى التي درّس فيها هي المدرسة التحضيرية الداوودية في القاهرة، ثم انتقل إلى المدرسة دمياط الابتدائية، وفي 1 ديسمبر 1935م انتقل إلى مدرسة بني سويف الابتدائية ثم

[1] المرجع السابق، ص60.

[2] عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب، عبد الله عزام، مركز شهيد عزام الإعلامي يشاور-بكستان، ط1، ص3.

[3] سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح الدين خالدي، ص73.

[4] المرجع نفسه، ص74، 75.

[5] المرجع نفسه، ص16.

انتقل إلىمدرسة حلوان الابتدائية سنة 1936م[1].

وفي 1 مارس 1940م انتقل سيد قطب إلى وزارة المعارف، وعمل فيها محرِّراً عربياً في مراقبة الثقافة العامة، ثم نُدب إلى إدارة الترجمة والاحصاء من نفس السنة، ثم نُقل مفتشاً بالتعليم الابتدائي سنة 1944م، ثم أعيد إلى إدارةِ الثقافة العامة سنة 1945م وبقي في عمله حتى أواخر عام 1948م، حيث سافر إلى أمريكا في بعثة علمية من وزارة المعارف للتخصص في التربية وأصول المناهج، ثم بعد عودته عُين بوظيفةِ مراقبٍ مساعد بمكتب وزير المعارف، ثم نقل إلى منطقة القاهرة الجنوبية التعليمية سنة 1951م. وأعيد إلى الوزارة سنة 1952م ليعمل مراقباً مساعداً بالبحوث الفنية والمشروعات[2].

كتب سيد قطب الكثير من المقالات، وكانت مقالاته متنوِّعة الموضوعات، منها مقالاتٌ أدبية، ونقدية، ولغوية، وتربوية، وقصائد شعرية، ومقالات اجتماعية، وفنية، وإصلاحية، وسياسية، وإسلامية[3]، فكان أول مقال نشره في صحيفة «البلاغ اليومية» عام 1922م، ويبدو أنه قد كتب قبل هذه الصحيفة إذ كتب "علي أحمد عامر" في صحيفة الأسبوع كلمة عن سيد قطب قال فيها: "سيِّد قطب قد استهلَّ حياته بالعمل الصحفي على ضُروبه وألوانه، فقد قرأْتُهُ من ثلاثة عشر عاماً شاعراً في صحيفة «الحياة الجديدة» ثم قرأْتُهُ بعدئذ شاعراً كاتباً في «البلاغ»، ثم ها أنا الآن أقرأُهُ صحبتك شاعراً وكاتباً في «الأهرام» و«الأسبوع»"[4].

عمل في جريدة «الأهرام» و«البلاغ» وكتب فيهما، وكتب في مجلة «البلاغ الأسبوعي» ومجلة«الجهاد»، و«الحياة الجديدة»، و«المقتطف»، و«الوادي»، و«كوكب الشرق»، و«روز اليوسف»، و«أبوللّو»، و«الإمام»، و«الأسبوع»، و«الرسالة»، و«الثقافة» ، و«دار العلوم»، و«الكاتب المصري»، و«الكتاب»، و«السوادي»، و«الشؤون الاجتماعية»، و«الأديب»، و«اللبنانية» ...وغيرهم. وكما أشرف على مجلتي «الفكر الجديد» و«العالم العربي»[5].

كتب كذلك في مجلة «اللواء الجديد» التي أصدرها شباب الحزب الوطني بقيادة (فتحي

[1] المرجع السابق، ص85.
[2] المرجع نفسه، ص86، 87.
[3] المرجع نفسه، ص101.
[4] المرجع نفسه، ص93.
[5] المرجع نفسه، ص96، 97.

رضوان)، ومجلة «الاشتراكية» التي أصدرها حزب مصر القتادة بقيادة (أحمد حسين)، ومجلة «الدعوة» التي أصدرها (صالح عشماوي) باسم «الإخوان المسلمين»، ثم أشرف عليها[1]، فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم سنة 1953م وسجن معهم، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه[2].

كان سيد قطب يجمع بين التدريس والصحافة منذ مطلع حياتهِ الأدبية، ويوفِّق بين عمله في وزارة المعارف ومرسلتهِ الصحف والمجلات[3].

الفرع الثالث: مؤلفاته

قرَّر سيِّد قطب أن يبدأ تأليف الكتب عام 1945م، فترك تسعةً وعشرين كتاباً في الأدب والنقد والفكر الاسلامي، وعلى رأسها تفسيرهُ "في ظلال القرآن" الذي اعتبر به مفسراً مجدداً ورائداً للفكر الاسلامي الأصيل.

فـــأما الكتب التي أصدرها قبل تلك السنة ليست كتباً في الأصل؛ فكتاب "مهمة الشاعر في الحياة" محاضرة نقدية أساساً. و"الشاطئ المجهول" قصائدُ شعرية سبق له نشرها في المجلات، و"نقد كتاب مستقبل الثقافة في مصر" مقالةٌ نقدية مطولة نشرها في مجلة دار العلوم[4].

كتب في أوائل الأربعينات كتابيه الشهيرين: "التصوير الفني في القرآن" وهو أول كتاب إسلامي له أصدره سنة 1945م، وقد أهداه إلى أمه، "مشاهد القيامة في القرآن" وهو الكتاب الثاني من مكتبة القرآن الجديدة أصدره سنة 1947م، وأهداه إلى روح أبيه[5].

ومن جملة مؤلفاته المطبوعة هي:

"الأطياف الأربعة" عام 1945م، و"طفل في القرية" عام 1946م، و"المدينة المسحورة" عام 1946م، كتب وشخصيات" عام 1946م، و"أشواك" عام 1947م، و"روضة الطفل" عام1947م، و"القصص الديني للأطفال" عام1947م، و"الجديد في اللغة العربية"، و"الجديد

---

[1] المرجع السابق، ص98.

[2] الأعلام، خير الدين الزركلي، ج3، ص174.

[3] سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح عبد الفتاح خالدي، ص98.

[4] المرجع نفسه، ص17، 522.

[5] ينظر: عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب، عبد الله عزام، ص4. وينظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح عبد الفتاح خالدي، ص527.

في المحفوظ"، و"النقد الأدبي: أصوله ومناهجه" عام 1948م، و"العدالة الاجتماعية في الإسلام" عام 1949م، و"معركة الإسلام والرأسمالية" عام 1951م، و"السلام العالمي والإسلام" عام 1951م، و"دراسات إسلامية" عام 1953م، و"هذا الدين" عام 1960م، و"المستقبل لهذا الدين" عام 1960م، و"خصائص التصور الإسلامي" عام 1962م، و"الإسلام ومشكلات الحضارة" عام 1962م، و"معالم في الطريق" عام 1964م، و"مقومات التصور الإسلامي" عام 1986م[1].

الفرع الرابع: إعدامه ووفاته

لم يعش سيد قطب سالماً آمناً فقد اعتقل عدة مرات، فكان أول اعتقال له في مطلع عام 1954م وبقي معتقلاً مع قيادات الاخوان المسلمين ثلاثة أشهر.

اعتقل الاعتقال الثاني، بعد مسرحية حادث "المنشيَّة" في 26 أكتوبر 1954م، مع الألوف من الإخوان المسلمين الذين اتهموا بمحاولة اغتيالِ جمال عبد الناصر.

قُدِّم سيد قطب للمحاكمة عام 1955م، وحكمت عليه المحكمة بالسجن خمسة عشر عاماً[2]، قضى معظمها في مستشفى سجن "ليمان طُرة" لإصابته بأمراض كثيرة في رئتيه ومعدته وأمعائه[3].

أُفرج عنه بعفوٍ صحيّ عام 1964م، بعد توسط الرئيس العراقي "عبد السلام عارف".

أعلن عبد الناصر عن اكتشاف مؤامرةٍ دبَّرها الإخوان المسلمين بقيادة سيد قطب، لاغتياله وقلب نظام الحكم، وأُعيد سيد قطب في 09 أوت 1965م.

بدأ التحقيقُ مع سيد قطب في السجن الحربيّ في 19 ديسمبر 1965م، واستمرَّ ثلاثة أيام[4]، فعُذِّب في محنته الثانية عذاباً رهيباً، تقشعرُّ من هوله الأبدان[5].

ثم بدأت محاكمة سيد قطب في 12 أفريل 1966م، وكان قاضي المحكمة هو فريق"محمد فؤاد الدجوي"، فأصدر حكم الإعدام على سيد قطب واثنين من إخوانه في 21

[1] سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح عبد الفتاح خالدي، منص528 إلى 559.

[2] المرجع نفسه، ص21، 22.

[3] المرجع نفسه، ص16.

[4] المرجع نفسه، ص22.

[5] المرجع نفسه، ص17.

أوت 1966م[1].

وفي فجر يوم الاثنين 29 أوت 1966م تم تنفيذ حكم الإعدام في السجن على سيد قطب قبل بزوغ فجر هذا يوم الموافق لِـجمادى الأولى 1386هـ، بعد أن عاش تسعةً وخمسين عاماً، وعشرة أشهر، وعشرين يوماً[2].

المطلب الثاني: التعريف بتفسير "في ظلال القرآن"

الفرع الأول: تقديم تفسير الظلال وتسميته

في ظلال القرآن، من أشهر كتب سيد قطب وهو تفسيرٌ كامل للقرآن، أصدره سيد في ثلاثين جزءاً بعدد أجزاء القرآن.

يصنف كتاب التفسير "في ظلال القرآن" ضمن التفاسير بالمأثور، ولقد جمع بين الجانب التحليلي والبلاغي والأدبي الاجتماعي، ويصنف كذلك من بين التفاسير الموضوعية، حيث يهتم بالوحدة الموضوعية للسورة، وسجل فيه سيد قطب آراءه وأفكاره، وتصوره للإسلام والدعوة والحركة والمواجهة والتغيير[3].

وفي الحقيقة أن (الظلال) ليس تفسيرا للقرآن، بالمعنى التقليدي لكلمة تفسير وإنما هو موسوعة تعرض فيها سيد قطب لكافة فنون المعرفة والثقافة على ضوء الاسلام وعلى منهج القرآن، كما تعرض لمناهج الحياة في الاسلام، المناهج السياسية والاجتماعية والاقتصادية والتربوية والحركية، والأهم من هذا كله أن (ظلاله) حياة في (ظلال القرآن) بكل ما تحمله كلمة حياة من معنى. أنه وهو يتحدث عن الآيات يتحدث عن حقيقة لمسها، وحياة عاشها، وتجربة واقعية مر بها، وحلاوة تذوقها، ونعمة أحس بها، ولذلك هو ليس تفسيراً للقرآن فقط، بل هو أكثر من التفسير بكثير[4].

وأما عن اختياره للعنوان يقول في مقدمة الظلال[5]: "عنوان لم أتكلفه، فهو حقيقة عشتها في الحياة.. فبين الحين والحين كنت أجد في نفسي رغبة خفية في أن أعيش في ظل

---

[1] المرجع السابق، ص22.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص17.

[3] ينظر: المرجع نفسه، ص544.

[4] سيد قطب الشهيد الحي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة الأقصى، عمان- الأردن، 1401هـ، 1981م، ط1، ص244.

[5] مدخل إلى ظلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمان، الأردن -عمان، ط2، 1421هـ، 2000م، ص83.

القرآن فترة. استروح فيها ما لا أستروحه في ظل سواه، فترة تصلني بالسماء، وتفتح لي فيها نوافذ مضيئة وكوى مشعة وهي في الوقت ذاته تثبت قدمي في الأرض، وتشعرني أنني أقف على أرض صلبة، لا تدنسها الأوحال، ولا تزل فيها الأقدام. وكانت تعن لي في هذ الجولات خواطر متناثرة: خواطر في العقيدة، وخواطر في النفس، وخواطر في الحياة، وخواطر في الناس.. كنت أكتفي بأن أعيشها ولا أسجلها. فقد كان حسبي أن أعيش هذه اللحظات في تلك الظلال. فلما أن صدرت (المسلمون) وكان عليَّ أن أشترك في تحريرها بمقال شهري، قفز إلى ذهني: (في ظلال القرآن) ووددت لو سجلت هذه الخواطر التي تتوارد عليّ أحياناً وأنا أحيا في ظل القرآن"[1].

الفرع الثاني: المراحل التاريخية لتأليف الظلال

مر تفسير الظلال بأربع مراحل، نلخصها في ما يلي:

المرحلة الأولى: الظلال في مجلة المسلمون:

في نهاية عام 1951م أصدر سعيد رمضان مجلة المسلمون وكانت مجلة فكرية إسلامية شهرية، ويكتب فيها قادة الفكر والرأي في العالم الإسلامي، وقد طلب صاحبها من سيد قطب أن يشترك في تحريرها بمقال شهري، وأبدى رغبته أن لو كان هذا المقال في موضوع متسلسل أو تحت عنوان دائم.

وهنا ظهرت رغبة سيد قطب الكامنة، وتكمن من تحقيق الأمنية المذخورة. فراح يفسر القرآن تحت عنوان مثير، وهو (في ظلال القرآن).

نشر الحلقة الأولى في العدد الثالث من المجلة الذي صدر في شباط (فبراير) عام 1952م، ابتدأه بتفسيره سورة الفاتحة، واستمر يفسر سورة البقرة في الحلقات التالية. وقد نشر في المجلة سبع حلقات في سبعة أعداد متوالية، ووصل في تفسيره إلى تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾[البقرة: 103][2].

[1] ينظر: مقدمة في ظلال القرآن، سيد قطب، ج1، ص12.

[2] مدخل إلى ظلال القرآن، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار عمان، الأردن-عمان، ط2، 1421هـ، 2000م، ص42، 43.

المرحلة الثانية: الظلال قبيل اعتقال سيد قطب

أعلن سيد قطب في نهاية الحلقة السابعة من حلقات الظلال في مجلة المسلمون عن إيقاف الحلقات في المجلة، فقد نشر في "دار إحياء العربية الناشر" الجزء الأول من كتابه 1952م بالقاهرة، وكل جزء من هذا الكتاب يحتوي على تفسير جزء من القرآن. وتعهد سيد قطب مع القراء لصدر كل شهرين جزءاً من هذا الكتاب، بل يزيد على هذا أحيانا. ففي الفترة الواقعة ما بين أكتوبر 1952 ويناير 1954م، أصدر سيد قطب ستة عشر جزءاً من الظلال، وتوقف كتابة هذا التفسير حين اعتقال سيد قطب في يناير 1954م[1].

المرحلة الثالثة: سيد قطب يكمل الظلال في السجن

أُدخل سيد قطب السجن للمرة الأولى، فأصدر وهو في السجن الجزأين السابع عشر والثامن عشر.

وبعدما خرج من السجن لم يُصدر أجزاء جديدة وذلك لكثرة انشغالاته ولم يلبث طويلاً خارج السجن إذ سرعان ما أعيد إليه، ففي الفترة الأولى من سجنه لم يُصدر أجزاء جديدة من الظلال وبعدما استقر في سجن (ليمان طُرة) وتكيف مع الوضع الجديد انصرف إلى إكمال التفسير وكتابة الأجزاء الباقية من الظلال.

وفي الحقيقة تقضي لوائح السجون أن السجين لا يحق له الكتابة، ولكن الله سبحانه وتعالى أراد للظلال أن يُكتب ومن داخل السجن!

وسبب ذلك أن سيد قطب كان قد تعاقد مع دار إحياء الكتب العربية على كتابة الظلال كتفسير للقرآن كله، فلما منعته الحكومة من الكتابة داخل السجن، رفعت الدار الناشر دعوى ضدها تطالبها بدفع تعويض قيمته عشرة آلاف جنيه، وذلك لتضررها من ذلك المنع، فاختارت الحكومة أن تسمح لسيد قطب بإكمال الظلال، والكتابة من داخل السجن فأكمل كتابة الظلال في السجن.

عينت الحكومة الشيخ الغزالي رقيباً دينياً على الظلال، يطلعُ على أصوله قبل صدورها من المطبعة، وقد أجازَ الغزالي كلَّ الظلال في طبعتِه الأولى. ولم يحذف منها إلاَّ تعقيبَ سيِّد

[1] المرجع السابق، ص43،44.

على سورة البروج الذي نشره بعد ذلك في فصل "هذا هو الطريق" من كتاب (معالم في الطريق)، والذي أشار فيه إلى التعذيب الذي لقيه هو والمجاهدون في السجن[1].

المرحلة الرابعة: الطبعة المنقحة للظلال

كان تفسير سيِّد قطب في الطبعة الأولى من ظلال لا يعدو أن يكون تسجيلاً لخواطره المتنوعة حول الآيات، وبياناً لما فيها من جمالٍ وفنٍّ وتصوير، وعرضاً لبعض ما تضمنته من مبادئَ ومناهجَ.

وفي هذه المرحلة وجد سيد قطب مفهوما عن المنهج الحركي الإسلامي الجديد في الدعوة والتربية والإصلاح والجهاد والتغيير، ففسر الأجزاء الثلاثة الأخيرة من الظلال على بعض مفهوماته الحركية الجديدة، وأعاد كتابه الظلال ليضمِّنه هذه المعاني الجديدة.

وهكذا جاءت الطبعةُ المنقَّحة من الظلال، والتي أصدر الجزء الأول منها مطلع عام 1960م عن دار إحياء الكتب العربية.

كتب سيد قطب الأجزاء العشرةَ الأولى من الطبعة المنقحة، على ضوء منهجه الحركي الجديد في فهم القرآن وتفسيره، وكانت أطولُ وأعمقُ وقفاته، تلك التي تتعلقُ بقضايا: العقيدة والدعوة والحركة والجهاد والتشريع والجاهلية.

كان الجزءان السابع والثامن اللذان ضمَّا تفسيره لسورة الأنعام هما أكثر الأجزاء تركيزاً، وأنضجَها فكراً، وأوضحَها دلالةً على منهجه الحركي الجديد.

وعند الإفراج عنه عام 1964م، تابع كتابةَ الأجزاء، فنشر الأجزاء الحادي عشر، والثاني عشر، والثالث عشر.

وبذلك يكونُ قد وصل في الطبعة المنقحة من الظلال إلى آخر الجزء الثالث عشر، الذي تنتهي به سورة إبراهيم عليه السلام، وكان يريد أن يُكمل كتابة باقي الأجزاء من الرابع عشر حتى السابع والعشرين على أساس منهجه الحركي الجديد في التفسير إلا أنه اعتقل وحكمت عليه المحكمة بالإعدام[2].

---

[1] المرجع نفسه، ص44، 45، 46. وينظر: سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص546.

[2] سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص546، 547، 548.

الفرع الثالث: طبعات الظلال وترجماته

أ- طبعاته:

طبع الظلال ثلاث طبعات في حياة صاحبه، وطبعات عديدة مشروعة ومسروقة بعد استشهاده:

الطبعة الأولى: صدرت عن دار إحياء الكتب العربية لصاحبها عيسى البابي الحلبي، وقد صدر الجزء الأول في أكتوبر 1952م، ثم والى إصدار الأجزاء الأخرى، ولكنه لم يكمل الظلال في الطبعة الأولى، ويبدو أن نُسخ الأجزاء الأولى نفدت من السوق، مما اضطر الناشر إلى أن يعيد نشر تلك الأجزاء فكانت الطبعة الثانية.

الطبعة الثانية: صدرت عن نفس الدار الناشرة وظهر الجزء الأول في جمادى الآخرة 1372 وفق فبراير 1953، أي بعد ثلاثة أشهر من الطبعة الأولى، واختار مقدمة الطبعة الأولى لتكون مقدمة للطبعة الثانية، وعلل هذا بقوله: "مقدمة الطبعة الأولى، ولم أجد ما يدعو إلى زيادة شيء عليها".

وهذه الطبعة طال إصدارها، حيث لم تنته إلا في أواخر الخمسينيات، وبعد حوالي سبع سنوات من صدور الجزء الأول، وتعتبر هذه الطبعة مكملة للطبعة الأولى.

الطبعة الثالثة: وهي الطبعة المنقحة وقد بدأ إصدارها في أواخر الخمسينيات، ووصل فيها في عام 1965م إلى نهاية الجزء الثالث عشر، وكان في نيته أن يتناول باقي أجزاء الظلال بالتنقيح حتى الجزء السابع والعشرين، لكن الطغاة قضوا عليه قبل تحقيق هذه الأمنية، التي ضاعت مع بحوثه ودراساته الفكرية والحركية الأخرى[1].

وبعد استشهاد سيِّد قطب عام 1966م، صارت دورُ النشر في لبنان تتسابقُ وتتبارى في نشرِ الظلال، وكتبِ سيِّد الأخرى، فظهرَ الظلالُ في طبعاتٍ مسروقة في ثمانية مجلدات، ثم طُبِعَ أخيراً طبعةً قانونية مشروعة بإذن من الأستاذ محمد قطب، حيث أصدرتْهُ دارُ الشروق في ستة مجلدات[2].

[1] مدخل إلى ظلال القرآن، ص52، 53.

[2] سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، ص548.

ب- ترجماته:

تُرجم كتاب التفسير "في ظلال القرآن" إلى عدة لغات أجنبية منها: الإنجليزية، والفرنسية، والتركية، والأردية، والأندونيسية، والأفغالية، والفارسية[1].

الفرع الرابع: منهج سيد قطب في تفسيره ظلال القرآن ومصادره

أ- منهج سيد قطب في تفسيره ظلال القرآن

كان لسيد قطب طريقة فريدة في التفسير، لم يسلكها أحد قبله من المفسرين، قدامى ومعاصرين، إن طريقته ناتجة عن حرصه على دخول عالم القرآن بدون مقررات فكرية مسبقة، ومن إيمانه بغنى القرآن ووفرة مدلولاته وإيحاءاته، فطريقته تقوم على مرحلتين:

المرحلة الأولى: لا يتلقى فيها إلا القرآن وحده، ولا دور للمراجع والمصادر والموارد في هذه المرحلة إطلاقاً، وهي المرحلة الأساسية والرئيسية والمباشرة، هذه المرحلة تتلخص في: "قراءته للسورة القرآنية كاملة عدة مرات، وربما عاود قراءتها والنظر فيها يوما بعد يوم حتى يهتدي رحمه الله إلى موضوعها الرئيسي، ومحورها العام الذي تدور حوله سائر موضوعاتها الفرعية الأخرى... حتى إذا اهتدى إلى ذلك، وفتح الله تعالى عليه به، عكف على تفسيرها بأقل قدر ممكن من الجلسات، ولو أمكنه أن يفعل ذلك في مقام واحد لفعل".

المرحلة الثانية: وهي ثانوية، ومكملة للأولى ومتممة لها، يستكمل بها ما في الأولى من نقص، أو يتلافى ما فيها من تقصير، أو يستدل لما فيها من آراء أو يستشهد لما فيها من أفكار، وهذه المرحلة تعتمد على الموارد والمصادر اعتماداً رئيسياً، لأنها تقول على: "النظر في كتب التفسير، يستدرك بها سبباً من أسباب النزول، أو يوضح من خلالها مسألة من مسائل الفقة، أو يستشهد منها بحديث أو رواية صحيحة وردت في تفسير بعض الآيات"[2].

إن رجوع سيد قطب إلى المراجع والموارد وأخذه منها في المرحلة الثانية كان على صورتين:

الأولى: أن يأخذ منها أفكاراً عامة، أو توجيهات وتقريرات، ولا ينقل منها كلاماً محدداً، فهذه يكتفي بإحالة القارئ عليها.

الثانية: يأخذ منها كلاماً للاستدلال أو الاستشهاد أو التمثيل أو التوضيح، ونقله منها غالباً ما

[1] مدخل إلى ظلال القرآن، ص55.

[2] المرجع نفسه، ص131، 132.

يكون بين علامتي التنصيص مع الإشارة إلى المرجع والصفحة أحيانا في الهامش، وإن عملية النقل والاقتباس هذه تتوفر فيها المنهجية العلمية بصورة واضحة[1].

ب- مصادره:

نشير فيما يلي إلى أهم الموارد والمصادر لتفسير الظلال، ونصنفها حسب الموضوعات والمباحث العامة:

أولاً: مصادر مادة التفسير[2]:

كان سيد قطب حريصاً على عدم الخروج على الروايات الصحيحة للتفسير بالمأثور، لذلك رجع إلى كتب التفسير بالمأثور، فأما الكتب التي اعتمدها واخذ منها هي:

تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن كثير، وجامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وتفسير الثعلبي، وتفسير البغوي، والدرر المنثور للسيوطي، وأحكام القرآن للجصاص، والجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي، وأحكام القرآن لابن العربي، والكشاف للزمخشري، وتفسير جزء عم لمحمد عبده، وروح المعاني لمحمود شكري الآلوسي، وتفسير المنار لمحمد رشيد رضا، والتفسير الحديث لمحمد عزة دروزة.

فكان سيد قطب يطلع على تفسير المفسرين للآية على اختلاف مدارسهم في التفسير، وكان يحرص على عدم مخالفة الأقوال التي تتفق مع النص وإيحاءاته.

ثانياً: مصادر مادة السيرة[3]: مادة السيرة كانت غزيرة في الظلال، فكان يأخذها من الكتب المنهجية المعتمدة مع الأمانة العلمية في النقل والاقتباس، وأهم هذه الكتب هي:

السيرة النبوية لابن هشام، وإمتاع الأسماع للمقريزي، وجوامع السيرة لابن حزم، زاد المعاد لابن قيم الجوزية، وسيرة الرسول لمحمد عزة دروزة.

ثالثاً: مصادر مادة الحديث[4]: اعتمد سيد قطب على كتب الحديث لبيان أساب النزول، أو تصوير الجو الذي نزلت فيه النصوص، أو بيان أحداث السيرة النبوية، كما كان يرجع إليها في

[1] المرجع نفسه، ص133.

[2] المرجع السابق، من ص135 إلى ص156.

[3] المرجع نفسه، من ص158 إلى ص164.

[4] المرجع نفسه، ص164، 165، 166.

إشاراته إلى القضايا والمسائل الفقهية.

فلما تحدث عن أحكام الحج وشعائره اعتمد على كتب حديثية هي: صحيح البخاري، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، ومسند أحمد، وصحيح مسلم.

ولما تحدث عن الحكمة من تحويل القبلة، أورد الأحاديث من الصحيحين والموطأ، وسنن أبي داود وابن ماجة.

وعند حديثه عن فضل الشهادة وحياة الشهداء أورد ستة أحاديث أخذها عن الشيخين في صحيحيهما ومالك في الموطأ وأبي داود في سننه.

ولما فسر آيات الصوم، وأثناء حديثه عن الرخصة للمسافر بالفطر، أورد عشر حديثاً أخذها من الصحيحين، وموطأ مالك، وسنن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجة.

ولما فسر آيات القتال، وتحدث عن آداب القتال في الإسلام، أورد تسعة أحاديث، أخذها من الصحيحين وموطأ مالك وسنن أبي داود الترمذي.

وعند حديثه عن انشقاق القمر زمن الرسول صلى الله عليه وسلم في مكة كمعجزة، أورد أحاديث أخرجها البخاري ومسلم وأحمد و الترمذي والبيهقي والطبراني والطبري.

حادث الرسول صلى الله عليه وسلم مع زوجاته، استقاه سيد قطب من عدة كتب في الحديث وهي: البخاري ومسلم والترمذي والنسائي وأحمد.

وقضية المخلفين الثلاثة عن غزوة تبوك وتوبة الله عليهم، التي رواها كعب بن مالك استقاها من ثلاث كتب وهي: البخاري ومسلم وأحمد.

وحديث معاذ بن جبل عندما سيّره رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى اليمن، أخذه من: أحمد وأبي داود والترمذي وابن ماجة.

هذا وكان يأخذ الحديث أحيانا من غير الكتب التي ذكرت، مثل: مسند الدارمي، ومسند البزّار، ومعجم الطبراني، ودلائل النبوة للبيهقي، ومسند الفردوس للديلمي وغيرها.

رابعاً: مصادر مادة التاريخ[1]: في الظلال مادة تاريخية كثيرة، سواء تاريخ الأمم السابقة قبل الإسلام، أو تاريخ المسلمين في عهودهم المختلفة، فمن الكتب التي رجع إليها وهو يبحث في

[1] المرجع السابق، من ص166 إلى ص169.

تاريخ الأمم السابقة: كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية، لأبي الريحان البيروني، وذلك في محاولته تعيين ذي القرنين.

ومنها كتاب "العهد القديم"، و"محاضرات في النصرانية" لمحمد أبي زهرة، وكتاب "ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" لأبي الحسن الندوي، ورجع إلى الاكتشافات التاريخية الأثرية في تحديد بعض الأماكن التاريخية للسابقين، وفي إشارته لتاريخ العرب الجاهلي قبل الاسلام اعتمد على كتب التفسير والسيرة، مثل: كتاب الأصنام للكلبي، وكتاب الحجاب لأبي الأعلى المودودي.

وأما عند حديثه عن تاريخ المسلمين رجع إلى كتب التاريخ الموثوقة، ومن هذه الكتب التي أخذ منها: كتاب "تاريخ الرسل والملوك" لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وكتاب "البداية والنهاية" لابن كثير، وكتاب "الإسلام والقانون الدولي العام" للمستشار علي منصور، وكتاب "أبو حنفية بطل التسامح" لعبد الحليم الجندي، وكتاب "حاضر العالم الإسلامي" وهذا الأخير وقف عنده سيد قطب طويلاً.

خامساً: مصادر المادة العلمية[1]: أورد سيد قطب في الظلال مادة علمية استشهد بها في تفسير الآيات العلمية في القرآن، كما استعان بالعلم الحديث، وأنباء الاختراع، وآخر المكتشفات العلمية في توضيح معنى الآية، وفي توسيع مدلولها، وفي إعطائها بُعْداً تفسيرياً معاصراً وتسجيل ما فيها من إعجاز علمي معاصر، وكما أنه يهدف من إيراده هذه المادة العلمية، أن يخاطب العلماء بلغتهم، ويجعلها وسيلة للمفتونين بالعلم الحديث. فمن أهم الكتب العلمية التي استقى منها مادته العلمية هي:

1_ الله يتجلى في عصر العلم؛ كتاب ألفه نخبة من العلماء الأمريكيين في شتى التخصصات العلمية، وترجمه للعربية الدكتور الدمراش عبد المجيد سرحان.

2_ العلم يدعو للإيمان؛ كتاب ألفه كريسي موريسون بعنوان "الإنسان يقوم وحده" رداً على كتاب لجوليان هاكسلي، وترجمه للعربية محمود صالح الفلكي.

3_ الله والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل؛ وقد نقل منه كثيراً وهو يفسر الأجزاء الأخيرة من القرآن.

[1] المرجع نفسه، ص172، 173.

4_ مع الله في السماء للدكتور أحمد زكي.

5_ عقائد المفكرين في القرن العشرين لعباس محمود العقاد.

6_ الكون الغامض للسير جيمس جينز.

7_ الإنسان ذلك المجهول لالكسيس كاريل.

8_ الإسلام والطب الحديث للدكتور عبد العزيز إسماعيل.

سادساً: مصادر الثقافة الإسلامية[1]: أحال سيد قطب على عدد كثير من المؤلفات الاسلامية المعاصرة، لكُتاب إسلاميين معاصرين، فبعضها نقل منها نقولاً حرفية، وبعضها أخذ منها أفكارها وصاغها بأسلوبه، وبعضها لم ينقل منها، وإنما أحال عليها لزيادة البيان، أو لمزيد من البحث، أو من أجل الاستشهاد.

ومن أهم المؤلفات التي أحال عليها، مؤلفاته هو ومؤلفات شقيقه محمد قطب، ومؤلفات السيد أبي الأعلى المودودي.

سابعاً: أخباره وخبراته الشخصية[2]: ومن موارد الظلال أخباره الخاصة، وتجاربه الشخصية، وخبراته المكتسبة، وملاحظاته عن الحياة، ونظراته الثاقبة في المجتمع المعاصر عربياً أو غربياً، واستفادته من ملحمته الجهادية التي سطرها في سجنه.

ثامناً: جماعة الإخوان المسلمين[3]: فمن موارد الظلال جماعة الإخوان المسلمين بفكرها ومناهجها ومبادئها.

المبحث الثاني: الصوت في دراسات سيد قطب

حظي الجانب الصوتي باهتمام بالغ في الدراسات القرآنية لسيد قطب، حيث نجده قد عقد فصولا لتفصيل نظرته لهذا الجانب في كتبه المعروفة (التصوير الفني، مشاهد القيامة، وتفسيره الظلال)، فقد جعل الإيقاع عنصرا مهما من عناصر فكرته في التصوير الفني وهو يقول في معرض تحديدهفهو: "تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالإيقاع، وكثيرا ما يشترك الوصف والحوار، وجرس الكلمات، ونغم العبارات، وموسيقى السياق في إبراز صورة من الصور

[1] المرجع السابق، ص173.

[2] المرجع نفسه، ص177.

[3] المرجع نفسه، ص178.

تتملاها العين والأذن، والحس والخيال، والفكر والوجدان"[1]، ثم ذهب لجعل جرس المفردة القرآنية أحد أهم خصائص التصوير بما له من دلالات مختلفة..

المطلب الأول: نظرية التصوير الفني:

إن التصوير الفني مظهر من مظاهر الاعجاز في القرآن الكريم، فهو الأداة المفضّلة في الأسلوب القرآن، إذ يعرفه سيِّد قطب بأنه: "تعبيرٌ بالصورة المحسّة المتخيّلة عن المعنى الذهني، والحالة النفسية، وعن الحادث المحسوس، والمشهد المنظور، ومن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ثمّ يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجدّدة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حيّ، وإذا الطبيعة البشرية مجسّمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد، والقصص والمناظر، فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة والحركة، فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل"[2]، فهو إذن تصوير يقتضي وجود ألوان وحركة وشخصيات، ولكنّه في القرآن ما من ذلك من شيء إلا التعبير اللفظي، إذ يقول: "حيث تتوالى المناظر، وتتجدد الحركات، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى، ومثل يضرب، ويتخيَّل أنه منظر يعرض، وحادث يقع... فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصوّر المعنى الذهني والحالة النفسية، وتشخيص النموذج الإنساني أو الحادث المرويّ، إنما هي ألفاظ جامدة، لا ألوان تصوِّر، ولا شخوص تعبِّر، أدركنا بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن[3].

إن التصوير الفني في القرآن "خطابٌ لحاسة الوجدان الدينية بلغة الجمال الفنية، مما يحقق الراحة النفسية والمتعة الفنية معاً، إذ يُضفي الحياة والجِدّة على الصورة المعروضة، ويُؤدي وظيفة التأثير بأسلوب فني راقٍ"[4]، "فالفن في القرآن جمالٌ في التنسيق، وإبداعٌ في العرض، وقوةٌ في الأداء"[5]، فهو في سياق النصوص القرآنية ملمح أساسي يتظافر في تحقيقهاللفظ برنينه

[1] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص37.

[2] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص36.

[3] المرجع نفسه، ص36، 37.

[4] التصوير الفني وصلته بالإعجاز البياني القرآني، د. مريم سعود، جامعة زيان عاشور بالجلفة، مجلة المداد، المجلد2، العدد4، 2014م، ص181، 182.

[5] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص53.

الصوتي، والجملة بتراكيبها المتنوّعة وبنغماتها الداخلية، والفاصلة بإيقاعها المتلائم مع النسق اللفظي والسياق العام، والمشهد الحي بتكريس التصوير فيه إلى التجسيد الحي حركة وتأثيراً، فهو ظاهرة أدبية لها تميزها وتفردها ومجالها الخاص، إنه يحول الألفاظ والتراكيب إلى صورة عامرة بالحياة والحركةفيتوضح معنى الحياة في هذا التصوير، الحياة التي تنقل الأثر من الحس إلى أعماق النفس، لأنها تنتقل من كائن حي، إلى كائن حي، في وسط حي، فتتغلغل في أعماق الضمير من خلال التعبير والتصوير[1].

وإن لهذا التصوير ألوان وخصائص وسمات في التعبير القرآني يوضحها سيد قطب قائلاً: "ويجب أن نتوسع في معنى التصوير، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن، فهو تصوير باللون، وتصوير بالحركة، وتصوير بالتخييل"[2].

أولاً: التخييل الحسيّ أو التشخيص: وهي القاعدة الأولى التي يقوم عليها التصوير[3]، وهي تلك الحركة التي تحول اللفظ من المعنى المجرّد إلى الصورة المتخيّلة، فهي حركة حيَّة مما تنبض به الحياة الظاهرة للعيان، أو الحياة المضمرة في الوجدان، وهي التي يسير عليها التصوير في القرآن لبث الحياة في شتى الصور، مع اختلاف الشيات والألوان[4]، إذ هو جانب بارز في التعبير القرآني، يرمي إلى رسم الصورة كما تحس بها النفس وهو وسيلة لتقريب المعنى، وعقد علاقات متخيلة بين محاور حسية أو معنوية[5].

ومن الأمثلة القرآنية التي تعرض التخييل الحسي، قوله تعالى:﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾[الأعراف: 40].

---

[1] ينظر: من جماليات التصوير في القرآن، محمد قطب عبد العال، تصدرها رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة، 1410هـ، 1990م، ص08، ص42. وينظر: التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص251.

[2] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص37.

[3] ينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار الفاروق، عمان_ الأردن، ط1، 1437هـ، 2016م، ص132.

[4] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص72.

[5] من جماليات التصوير في القرآن، محمد قطب عبد العال، ص94.

إن هذه الصورة تترك القارئ أو المستمع يرسم بخياله صورة متخيَّلة لتفتُّح أبواب السماء؛ أبواب وليس باباً واحداً، وصورة، وصورةً متخيَّلة أخرى لولوج الجمل؛ وهو الحيوان المعروف، في سم الخياط وهو ثقب الإبرة! وتدب الحركة في هذه الصورة التخييلية، بتخيل محاولات الجمل اليائسة المتكررة دخول ثقب الإبرة[1].

وفي قوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾[الحج: 11]

إن خيال القارئ ليكاد يجسِّم هذا (الحرف)، وإنه ليذهب مع الحركة المتخيَّلة للعابد، الذي يعبد الله عليه هذا البعض من الناس، وإنه ليكاد يتخيَّل الاضطراب الحسي في وقفتهم، وهم يتأرجحون بين الثبات والانقلاب، وإن هذه الصورة لترسم حالة التزعزع بأوضح مما يؤديه وصف التزعزع، لأنها تنطبع في الحس، وتتصل منه بالنفس[2]. ولتخييل الحسي ألوان هي:

أ_ تخييل بالتشخيص: يعرفه سيد قطب بقوله: "فهو يتمثل في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية والانفعالات الوجدانية"[3]، ولقد توسل الأداء القرآني إلى هذا الجانب عبر استخدام المجال الاستعاري وهو مجال مفضل في الأسلوب القرآني، فالألفاظ المستعارة ألفاظ موحية لأنها أصدق أداة تجعل القارئ يحس بالمعنى أكمل إحساس وأوفاه، وتصور المنظر للعين وتنقل الصورة للأذن وتجعل الأمر معنوي ملموساً مُحسًّا، فحين تعجز الألفاظ الوصفية عن نقل التجرة، فالخيال أو التصوير مردُّه إلى قصور الألفاظ ومعانيها الحقيقة عن التعبير عما يشاهده الأديب في حياته النفسية الداخلية من مشاعر، فيتحول من مجاز إلى مجاز ومن استعارة إلى استعارة، بحيث يتسرب التشخيص في كياننا عميقا موغلاً يربطنا بالطبيعة بوثاق أثيريّ جذاب[4]. والأمثلة على هذا اللون كثيرة ومتنوعة فنقتصر على مثالٍ واحدٍ مما أورده سيد قطب في كتابه: قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾[الفجر: 04]، فقد صوّر لنا الليل مخلوقاً حياً،

[1] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص133.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص134، ينظر: التصوير الفني للقرآن الكريم، سيد قطب، ص45، 46.

[3] التصوير الفني للقرآن الكريم، سيد قطب، ص73.

[4] من جماليات التصوير في القرآن، محمد قطب عبد العال، ص68، 69، 70.

يسري في الكـــون، وكأنه ساهر يجول في الظلام، أو مسافر يختار السرى لرحلته البعيدة![1].

ب_ تخييل بتوقع الحركة التالية: وذلك كتصوير ولوج الجمل في سم الخياط، الموعد المضروب لدخول الكافرين الجنة بعد عمر طويل، فالخيال يظل عاكفاً على تمثيل هذه الحركة العجيبة، التي لا تتم ولا تقف ما تابعها الخيال![2]، (وقد سبق لنا ذكر هذا المثال آنفاً).

ت_ حركة متخيلة ينشئها التعبير: وهذه الحركة لا تَرِدُ على الخيال، إذ تكون في تركيب اللفظ ودلالاته ما يستدعيها[3]، ومثاله قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾[الفرقان: 23]، تلفتنا لفظة ذلك أنها تخيل للحس حركة القدوم التي سبقت نثر العمل كالهباء، وهذا التخييل يتوارى بكل تأكيد لو قيل: وجعلنا عملـهم هباءً منثوراً، حيث كانت تنفرد حركة النثر وصورة الهباء، دون الحركة التي سبقها: حركة القدوم[4].

ج_ حركات سريعة متخيلة متتابعة: ومثـاله قوله تعالى: ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[الحج: 31]، يتخيَّل صورة هوي هذا المشرك من السماء، ويتابعه وهو يهوي في حركات سريعة متتابعة، إنه يهوي من شاهق (خَرَّ من السماء)، ثم وفي لمح البصر يتمزق (فتخطفه الطير)، أو تقذفه الريح في هوّة سحيقة بعيداً عن الأنظار والذي ساعد على تخيُّل الحركات السريعة المتتابعة هو عنفُ هذا المشهد، وتعاقُبُ الحركات وتواليها في اللفظ، إذ عطف الألفاظ على بعضها (بالفاء)، مما ساعد على سرعة الاختفاء المتخيَّلة[5].

د_ حركة الساكن: كقوله تعالى:﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾[مريم: 04]، فحركة الاشتعال هنا تخيل للشيب في الرأس حركة كحركة اشتعال النار في الهشيم، فيها حياة وجمال[6].

---

[1] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص139.

[2] التصوير الفني للقرآن الكريم، سيد قطب، ص75، 76.

[3] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص142.

[4] التصوير الفني للقرآن الكريم، سيد قطب، ص76، 77.

[5] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص143، 144.

[6] التصوير الفني للقرآن الكريم، سيد قطب، ص78.

ثانياً: التجسيم الفنيّ

التجسيم الفني هو السمة الثانية من سمات التصوير في القرآن[1]، وطريقته هي الأسلوب المفضل في تصوير القرآن، إذ يعرفه سيد قطب بقوله: "هو تجسيم المعنويات المجردة، وإبرازها أجساماً أو محسوسات على العموم"[2]؛ فالذي يعنيه سيد قطب هنا بالتجسيم، ليس هو التشبيه بمحسوس، فهذا كثير ومعتاد، إنما يعني لوناً جديداً هو تجسيم المعنويات، لا على وجه التشبيه والتمثيل، بل على وجه التصيير والتحويل[3].

نحو تجسيم الذنوب كأنها أحمال (تحمل على الظهور زيادة في التجسيم)[4]، في قوله تعالى:﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾[الأنعام: 31]

وللتجسيم الفني ألوان منها:

أ_ تجسيم الحالات النفسية: يعرف زكي المحاسني التجسيم النفسي في القرآن بقوله: "نقصد بهذا التعبير إخراج الحياة النفسية إلى عالم المحسوسات، وفي القرآن مواضع لا تكاد تحد للتحليل النفسي وبيان ما يغشى النفوس من عوامل التصادم واللقاء"[5]، ومثال ذلك قوله تعالى:﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾[الواقعة: 83_85]، فالروح في هذا المشهد التصويري المؤثِّر، الروح المعنويّة، شيء مجسّم! تتحرك في جسم المحتضر حركة محسوسة مجسّمة، تكاد تراها أعين الناظرين!، تتحرّك حتى تبلغ الحلقوم[6].

ب_ تجسيم الحالات العقلية المعنوية: نحو قوله تعالى:﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[البقرة: 07]؛ فالحالة العقلية

---

[1] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص145.

[2] التصوير الفني للقرآن الكريم، سيد قطب، ص72.

[3] المرجع نفسه، ص79.

[4] المرجع نفسه، ص80.

[5] الأدب الديني دراسات أدبية من القرآن والحديث، زكي المحاسني، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1970م، ص33.

[6] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص149.

المعنوية هنا هي عدم استفادة بعضهم مما يسمعه من آيات القرآن، فكأنّه لم يسمعها، والصورة الفنّية تضع هنا حواجز مادّية مجسّمة محسوسة، تفصل بين منافذ الإدراك فيهم وبين القرآن، هذه الحواجز المجسّمة هنا أختام على القلوب فلا تفقه، وعلى الأسماع فلا تسمع، وغشاوة غليظة على الأبصار فلا تبصر[1].

جـ الهيئة المجسّمة بدل الوصف الحسّي: نحو قوله تعالى:﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[العنكبوت: 55]؛ فهو مشهد رهيب مفزع، فالعذاب يحيط بهم ويأتيهم من كل جانب، وهذه إحاطةٌ وصفية حسيّة، ولكن التعبير عَدَلَ عَنهَا إلى وصف مُجَسّم، غشيان العذاب من فوق، ومن تحت الأرجل[2].

دـ وصف معنوي بشيء محسوس مجسّم: نحو قوله تعالى:﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾[المزمل: 05]؛ القول صار شيئاً له وزن ثقيل. ومثله قوله تعالى:﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾[الإنسان: 27]؛ حيث تحوّل اليوم من زمن لا يمسك، إلى شيءذي كثافة ووزن![3].

ثالثاً: التناسق الفنيّ

جعل سيد قطب التناسق الفنيّ وسيلة للكشف عن سرّ جمال التعبير القرآني المعجز، وجعله السمة البارزة في التصوير الفنّي، إذ يقول: "وإن التخييل والتجسيم هما الظاهرتان البارزتان في هذا التصوير، لا نكون قد بلغنا المدى في بيان الخصائص القرآنية بصفة عامة، ولا خصائص التصوير القرآني بصفة خاصة، ووراء هذا وذاك آفاق أخرى يبلغ إليها النسق القرآني، وبها تقويمه الصحيح من ناحية الأداء الفني"[4].

وللتناسق الفني عند سيد قطب " ألوان و درجات، و من هذه الألوان ما تنبه إليه بعض

[1] المرجع السابق، ص150.

[2] المرجع نفسه، ص151.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] التصوير الفني في القرآن الكريم، سيد قطب، ص87.

الباحثين في بلاغة القرآن، و منها ما لميمسسه أحد منهم حتى الآن"، وهذه الألوان خمسة هي[1]:

اللون الأوّل: التناسق في تأليف العبارات بتخيّر الألفاظ، ثم نظمها في نسق خاص، يبلغ في الفصاحة أرقى درجاتها.

اللون الثاني: تناسق الإيقاع الصوتي الناشئ من تخيّر الألفاظ ونظمها مع الوظيفة التي يؤديها في كل سياق.

اللون الثالث: النكت البلاغية التي تضمنها الأسلوب القرآني.

اللون الرابع: التسلسل المعنوي بين الأغراض في سياق الآيات، والتناسب في الانتقال من غرض إلى غرض.

اللون الخامس: التناسق النفسي بين الخطوات المتدرّجة في بعض النصوص، و الخطوات النفسية التي تصاحبها.

المطلب الثاني: جرس المفردة القرآنية

إن في القرآن حلاوةً وجمالاً نابعاً من ألفاظهِ من حيث هي أصوات، توحي بجمال جرسها إلى السمع بتأثيرات تجعل المعنى قريباً إلى فهم المتلقي[2]، فجرس الحروف هو صوتها المنغّم، وتختلف في صفاتها حسب مخارجها، وجرس الكلمات هو نغمتها وصوتها وإيقاعها الذي يحصل نتيجة التلاؤم بين حروفها، وائتلاف هذه الحروف، وتوافق أصواتها، وحلاوة جرسها، وجرس العبارات هو الإيقاع الصوتي الحاصل من التلاؤم بين كلماتها، وتوافق أصواتها، وحلاوة جرسها كذلك[3].

كما تتميز المفردة القرآنية بميزات ثلاث هي: جمال وقعها في السمع، اتساقها الكامل مع المعنى، واتساع دلالتها لما لا تتسع له عادة دلالات الكلمات الأخرى[4]. ويرى سيد قطب أن في القرآن الكريم ألفاظا تستقل برسم صورة شاخصة بمفردها، حيث يستطيع اللفظ الواحد

[1] المرجع السابق، ص87، 88.

[2] ينظر: نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دفة بلقاسم، ص7.

[3] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، صلاح عبد الفتاح الخالدي، ص97.

[4] التعبير الفني في القرآن، بَكري شيخ أمين، دار الشروق، بيروت، 1933هـ، 1979م، ط3، ص181.

أن يرسم الصورة " تارة بجرسه الذي يلقيه في الأذن، وتارة بظلّه الذي يلقيه في الخيال، وتارة بالجرس والظل جميعا"[1]، **ومن المفردات القرآنية الدالة بجرسها**، ما تصنعه لفظة "الصاخة" في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾[عبس: 33]، قال ابن سيده: "الصاخة صيحة تصخ الأُذن أَي تطعنها فتصمها لشدتها ومنه سميت القيامة الصاخة"[2]، أي هي الصيحة الشديدة التي تصخ الأسماع، فهي ذات جرس عنيف وشديد يخرق صماغ الأذن، قال سيد قطب: "والصاخة لفظ ذو جرس عنيف نافذ، يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقاً، حتى يصل إلى الأذن صاخاً ملحاً!"[3]، فتكمن قوة جرس المفردة في ترتيب أصواتها، فالصاد صوت صفيري مهموس رخو مطبق مستعل، ثم الألف المديّة بعدها الخاء المشددة وهي حرف مهموس رخو حلقي، فقد مدت الألف مداً مفرطاً وهو ما يسمى ب(المد العالي) وهو أطول مد في القرآن الكريم، وهذا المد بمقدار ست حركات، كل هذا جعل للمفردة جرساً قوياً شديداً مؤثراً[4]. ومنها جرس تكرار لفظة "الحاقة" في قوله تعالى:﴿الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ(2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾[الحاقة: 1-3]

تلك ثلاث موجات متعاقبة متدرجة في الطول، يتوالى فيها السؤال والاستفهام، وتتكرر فيها كلمة جديدة في مدلولها على القيامة، لتوحي بجرسها بجسامة هول هذا اليوم بالقاق المشددة التي تقرع الأذن قرعاً وبخاصة بعد المد الطويل الممهِّد لها والمظهر لشدتها[5].

فالحاقة وهي القيامة وهو يختار هذا اللفظ من الناحية التصويرية لان له جرساً خاصاً، وهي بلفظها وجرسها ومعناها تلقي في الحس معنى الجد والصرامة والحق والاستقرار. وإيقاع اللفظ بذاته أشبه شيء برفع الثقل طويلاً، ثم استقراره استقراراً مكيناً، واستقراره في تشديد القاف بعدها، والانتهاء بالتاء المربوطة التي يوقف عليها بالهاء الساكنة والجرس في الألفاظ القرآن

[1] التصوير الفني، سيد قطب، ص91.

[2] لسان العرب، ابن منظور، ج3، ص33. مادة (ص،خ،خ).

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص465.

[4] المفردة القرآنية بين الجذر اللغوي والمعنوي القرآني، حسين محيسن ختلان البكري، مجلة كلية التربية للبنات، م20، 2009م، ص05، 06.

[5] أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة سورة الحاقة نموذجا، نرمين غالب أحمد، جامعة مستغانم، العدد16، 2016م، ص42.

وعباراته يشترك في تصوير المعنى ووقعه في الحس[1].

فأما المفردات التي تصنع جرسها بظلها، متمثلة في لفظة "انسلخ" في قوله تعالى:﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[الأعراف:175]، فالظل الذي تلقيه كلمة انسلخ يرسم صورة عنيفة للتملص من هذه الآيات، لأن الانسلاخ حركة حسية قوية، ونحن نرى الكافر ينسلخ من آيات الله انسلاخاً، "ينسلخ كأنما الآيات أديم له متلبس بلحمه؛ فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحي من أديمه اللاصق بكيانه"[2].

ومنه لفظة "يترقب" في قوله تعالى: ﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾[القصص: 18]؛ فكلمة "يترقب" هنا رسمت بظلها صورة فنية، وهي هيئة الحذِر المتلفت، والقلِق المتوجِّس، المتوقع للشر في كل لحظة، وهو في المدينة التي هي موضع الأمن والاطمئنان عادة، وإن كان هذا خاصاً بالتعبير كله، ولكن العبارة هنا تبرز قيمة اللفظ المصوِّر للفزع في موطن الأمان!**[3]**.

وأما ما ترسمه المفردات بجرسها وظلها معاً، تمثلها لفظة "يدعون دعاً" في قوله تعالى:﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾[الطور: 13]، فلفظ الدَّعّ يصور مدلوله بجرسه وظله؛ فالدعّ: الدفع في الظهور بعنف، وهو مشهد عنيف، فهي حركة غليظة تليق بالخائضين اللاعبين، الذين لا يجدّون، ولا ينتهبون إلى ما يجري حولهم من الأمور، فيساقون سوقاً ويدفعون في ظهورهم دفعاً[4]، وهذا الدفع في كثير من الأحيان يجعل المدفوع يخرج صوتاً غير إرادي فيه عين ساكنة هكذا "أَعْ" وهو في جرسه أقرب ما يكون إلى جرس "الدَّعْ"[5].

وإن استعمال القرآن لصيغة "يدعون" أبلغ من صيغة "يدفعون"، وأقوى جرساً منها لما فيها من مبالغة في الدفع وتصوير أهل النار، وأمّا الصيغة الثانية (يُدفعون) فلا مبالغة فيها ولا قوة في

---

[1] مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ص211.

[2] التصوير الفني، سيد قطب، ص95. وفي ظلال القرآن، ج3، ص320.

[3] التصوير الفني، سيد قطب، ص95. ونظرية التصوير الفني عند سيد قطب، الخالدي، ص160.

[4] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص45.

[5] التصوير الفني، سيد قطب، ص95.

جرسها، فهي تدل على مطلق الدفع في النار، فهو ليس شديداً ولا عنيفاً، إذ إن استعمال "يُدعّون" ليس اعتباطياً أو عفوياً وإنما اقتضاه السياق القرآني[1].

ومنه لفظة "كبكبوا" في قوله تعالى:﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾[الشعراء: 94-95]؛ "كبكبوا"، وإننا لنكاد نسمع من جرس اللفظ صوت تدفعهم وتكفئهم وتساقطهم بلا عناية ولا نظام، وصوت الكركبة الناشئ من الكبكبة، كما ينهار الجرف فتتبعه الجروف. فهو لفظ مصور بجرسه لمعناه، وإنهم لغاوون ضالون، وقد كبكب معهم جميع الغاوون، هم {وجنود إبليس أجمعون}، والجميع جنود إبليس، فهو تعميم شامل بعد تخصيص[2].

فإن التعبير جاء هنا عن سقوط هؤلاء الغاوين على وجوههم في النار بقوله "كبكبوا"، فلم يقل "كبوا" ليشير اللفظ بجرسه إلى أنهم يكبون كبًّا عنيفاً غليظاً، كما يدل تكرار المقطع "كب" إلى تكرار الدفع كما يدل على الحركة المضطربة وهم يدفعون وكأن بعضهم يدخل في بعض، فحاجة المقام هي التي اقتضت التعبير ب"كبكبوا" دون "كبوا"[3].

المطلب الثالث: الإيقاع

إن الإيقاع الصوتي ظاهرة فنية بارزة في التعبير القرآني "كل لفظة بل كل حرف فيه وضع وضعاً فنياً مقصوداً، ولم تراع في هذا الموضع الآية وحدها ولا السورة وحدها بل رُوعي في هذا الوضع التعبير القرآني كله"[4]، فهو "تلك الظاهرة العجيبة التي امتاز بها القرآن في رصف حروفه وترتيب كلماته ترتيبا دونه كل ترتيب ونظام تعاطاه الناس في كلامهم"[5]، فتحدي العرب كان قائم في النظم والتأليف، فكان الإيقاع مظهر من مظاهر الإعجاز وأهمها فهو نظام تتوالى بموجبه المقاطع الصوتية، إذ يقول الرافعي في هذا: "وحسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن، وأنه مما لا يتعلق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه إلا فيه،

[1] المفردة القرآنية بين الجذر اللغوي والمعنوي القرآني، حسين محيسن ختلان البكري، ص04.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5، ص355.

[3] البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، محمد إبراهيم شادي، دار الرسالة، الأزهر، 1409هـ، 1988م، ط1، ص31، 32.

[4] التعبير القرآني، فاضل السامرائي، دار عمار، عمان، 1427هـ، 2006م، ط4، ص10.

[5] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، ج2، ص312.

لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبةِبعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق؛ والتفشي والتكرير"[1].

تحدث سيد قطب عن آفاق وألوان التناسق الفني في القرآن الكريم وذكر منها أفق تناسق الإيقاع الموسيقي، إذ يقول: "إن في القرآن إيقاعاً موسيقياً متعدد الأنواع يتناسق مع الجو ويؤدي وظيفة أساسية في البيان"[2]، فهذا الإيقاع الموسيقي متناسق متزن في القرآن الكريم، هذا التناسق والاتزان فيه ألــوان:

اللون الأول: تناسق الإيقاع الموسيقي في السورة: ويبرز في السور القصار والفواصل السريعة، والمواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة ويتوارى قليلا أو أكثر في السور الطوال، ومن أنواعهِ:

أولاً: وهو الناتج عن الفواصل المتساوية في الوزن والقافية[3]: بحيث يكون إيقاعاً ناتجاً عن فواصل متساوية في الوزن تقريباً، متحدة في حرف التقفية تماماً ذات إيقاع موسيقي متحد ويكون اختيار الألفاظ تبعاً لهذا الإيقاع.

ومثال هذا الإيقاع الموسيقي في سورة النجم، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾ إلى قوله: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20) أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22)﴾[النجم: 1-22]

حيث يقف سيد قطب في تدبُّر أثر الجرس والإيقاع قائمين في السورة، فيقرر حقيقةً أدركها من ترتيله وتدبّره القرآن الكريم قائلا: "حيثما تلا الإنسان القرآن أحسَّ بذلك الإيقاع الدَّاخليّ في سياقه يبرز بروزًا واضحًا في السور القصار والفواصل السريعة، ومواضع التصوير والتشخيص بصفة عامة ... "[4]، فهذه السورة في عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية،

[1] اعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، ص148، 149.

[2] التصوير الفني، سيد قطب، ص101، 102.

[3] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، الخالدي، ص165.

[4] التصوير الفني، سيد قطب، ص103.

منغمة، يسري التنغيم في بنائها اللفظي كما يسري في إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة، ويلحظ هذا التنغيم في السورة بصفة عامة، وقد زيدت لفظة أو اختيرت قافية، لتضمن سلامة التنغيم ودقة إيقاعه[1]، فالإيقاع الموسيقي هنا متوسط الزمن تبعاً لتوسط الجملة الموسيقية في الطول، متحد تبعاً لتوحد الأسلوب الموسيقي مسترسل الرويّ، كجو الحديث الذي يشبه التسلسل القصصي[2].

واختيرت الألفاظ لتناسب الإيقاع في قوله تعالى:﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20)﴾[النجك: 19-20]، فلو أنك قلت (أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة) لاختلت القافية ولتأثر الإيقاع[3].

ثانياً: اختيار صورة خاصة للكلمة مراعاة للإيقاع الموسيقي: وهو أن يُعْدَلَ في التعبير عن الصورة القياسية للكلمة إلى صورة خاصة مراعاة للإيقاع الموسيقي للآيات.

ومثال ذلك قوله تعالى:﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (5)﴾[الفجر: 1-5]، هذه السورة في عمومها تتضمن ألواناً شتى من الجولات والإيقاعات والظلال، ألواناً متنوعة تؤلف من تفرقها وتناسقها لحناً واحداً متعدد النغمات موحد الإيقاع!، في بعض مشاهدها جمال هادئ رفيق ندي السمات والإيقاعات، كهذا المطلع الندي{الفجر . وليال عشر . والشفع والوتر . والليل إذا يسر}[4].

فياء "يسري" حذفت قصداً للانسجام مع "الفجر، وعشر، والوتر، وحجر"[5].

ثالثاً: بناء النسق على أساس الإيقاع الموسيقي: وهو أن يبنى النسق على نحو يختل إذا قدمت أو أخرت فيه، أو عدلت في النظم أي تعديل[6].

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص52.

[2] التصوير الفني، سيد قطب، ص104.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[4] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج8، ص32.

[5] التصوير الفني، سيد قطب، ص105.

[6] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومثال ذلك قوله تعالى:﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (3) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (4)﴾[مريم: 2-4].

فإنك تحس أن للسورة إيقاعاً موسيقياً خاصاً، فحتى جرس ألفاظها وفواصلها فيه رخاء وفيه عمق[1]، ذلك الإيقاع الموسيقي الناشئ من تخيّر الألفاظ ونظمها في نسق واحد[2]، فلو أنك حاولت مثلاً أن تغير فقط وضع كلمة "منّي" فتجعلها سابقة لكلمة "العظم" قال: أني وهن مني العظم، لأحسست بما يشبه الكسر في وزن الشعر، ذلك أنها تتوازن مع "إني" في صدر الفقرة هكذا: "قال رب إني وهن العظم مني"[3].

اللون الثـــاني: تناسق الإيقاع الموسيقي مع نظام الفواصل والقوافي: تتعد ألوان الإيقاع الموسيقي في القرآن وتتنوع، تبعاً لتنوع نظام الفواصل والقوافي فيه، ونظام الفواصل والقوافي يتنوع في السور القرآنية حسب طول السورة وتوسطها وقصرها.

وأما الإيقاع الموسيقي فإنه يتنوع في السورة الواحدة ويتعدد، تبعاً لتنوع فواصلها وقوافيها حتى يأتي إيقاعاً فنياً متناسقاً[4].

فمن المواضع التي لاحظ فيها سيد قطب تغير نظام الفاصلة والقافية سورة النبأ، إذ يقول: "وفي سورة "النبأ" بدأت السورة قافية النون والميم، في قوله تعالى:﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)﴾[النبأ: 1-5]، فلما انتهى من هذا التقرير، وبدأ نسقاً معنوياً جديداً وهو نسق الجدل بدل التقرير تغيّر النظام هكذا:﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (6) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (7) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (8) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (9) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (10) وَجَعَلْنَا

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج5، ص87.

[2] التصوير الفني، سيد قطب، ص87.

[3] المرجع نفسه، ص106.

[4] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، الخالدي، ص167، 168.

النَّهَارَ مَعَاشًا (11) . . .﴾[النبأ: 5-11][1].

اللون الثالث: تناسق الإيقاع مع جو السورة العام: فأما تنوع أسلوب الموسيقى وإيقاعها يكون بتنوع الأجواء العامة التي تطلق فيها، فيتبع الإيقاع نظاماً خاصاً ينسجم مع الجو العام باطراد لا يستثنى.

فعندما يكون الجو العام الذي أُطلِقَتْ فيه الآيات جواً سريعاً يأتي الإيقاع الموسيقي سريعاً قوياً[2]، ومثال ذلك في قوله تعالى:﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ (7) مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ (8)﴾[القمر: 6-8]، وهو مشهد من مشاهد ذلك اليوم، يناسب هوله وشدته ظلال السورة كلها، ويتناسق مع الإرهاص باقتراب الساعة، ومع الإنباء بانشقاق القمر، ومع الإيقاع الموسيقي في السورة كذلك، وهو متقارب سريع، وهو مع سرعته شاخص متحرك، مكتمل السمات والحركات[3].

وأما عندما يكون الجو وانياً بطيئاً يأتي الإيقاع مسترسلاً رخياً[4]، ومثال ذلك في قوله تعالى:﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (38)الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (39) رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ (40) رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ (41)﴾[إبراهيم:38-41]، فهو مشهد الدعاء الخاشع الضارع، ومشهد تعداد النعم والشكر عليها، في إيقاع موسيقي متموج رخي، ينتهي بعد أن يخلع على الموقف كله ظلاً وديعاً لطيفاً[5]، فالموسيقي هنا موسيقى الدعاء المتموجة الرخية الطويلة الخاشعة، فجاء

[1] التصوير الفني، سيد قطب، ص110.

[2] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، الخالدي، ص169.

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص78.

[4] نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، الخالدي، ص169.

[5] في ظلال القرآن، ج4، ص412.

الإيقاع بطيئاً يتناسق مع جو الدعاء والألفاظ فيه هادئة[1].

المبحث الثالث: نمـــاذج مختـــارة من جزء عم

افتتح سيد قطب تفسيره لجزء عم بمقدمة تعرض فيها لوصف مجمل لهذا الجزء وأهم ما يميزه ومنها الجانب الصوتي والإيقاعي؛ إذ يقول: "هذا الجزء كله ذو طابع غالب، سورةُ مكية فيما عدا سورتي «البينة» و«النصر» وكلها من قصار السور على تفاوت في القصر، والأهم من هذا هو طابعها الخاص الذي يجعلها وحدة في موضعها واتجاهها، وإيقاعها، وصورها وظلالها، وأسلوبها العام.

فكان تركيز هذا الجزء على حقائق معينة قليلة العدد عظيمة القدر، ثقيلة الوزن، وعلى إيقاعات معينة يلمس بها أوتار القلوب، وعلى مشاهد معينة في الكون والنفس، وعلى أحداث معينة في يوم الفصل، وأرى تكرارها مع تنوعها، هذا التكرار الموحي بأمر وقصد!"[2].

النمـــــــــــوذج التطبيقي الأول:

قال تعالى:﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (14)﴾[الشمس: 14].

جاء في تفسير الظلال في هذه الآية: عندما تتحرك يد القدرة لتبطش البطشة الكبرى، والدمدمة الغضب وما يتبعه من تنكيل، واللفظ ذاته{دمدم} يوحي بما وراءه، ويصور معناه بجرسه، ويكاد يرسم مشهداً مروعاً مخيفاً! وقد سوى الله أرضهم عاليهابسافلها، وهو المشهد الذي يرتسم بعد الدمار العنيف الشديد[3].

ربط سيد قطب رحمه الله بين المعنى والجانب الصوتي في الخطاب القرآني،فاستنبط من لفظة "دمدم" في سورة الشمس دلالات عميقة تعكس شدة غضب الله تعالى على الذين كذبوا إنذار رسولهم، فقد رأى سيد قطب أن مراد الخطاب هو تصوير غضب الله الشديد على هؤلاء القوم وعذابهم الشامل الذي طالهم بسبب عقرهم للناقة وما تبعهم من هلاك ودمار عنيف.

---

[1] ينظر: التصوير الفني، سيد قطب، ص112، وينظر: نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، الخالدي، ص170.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص429.

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج8، ص50.

فتأتي لفظة "دمدم" بمعنى التنكيل والعذاب لتؤكد على شدة هذا العذاب ووقوعه على هؤلاء القوم، كما أن وزن "فعلل" الذي جاءت عليه اللفظة يُضفي عليها معنى المبالغة،مما يدل على أن عذاب هؤلاء القوم كان عذابًا عظيمًا لا مثيل له.وتُساهم كثرة ذنوب هؤلاء القوم في تأكيد استحقاقهم لهذا العذاب الشديد،فقد سوّت الأرض عليهم لكثرة ما اقترفوه من ذنوب.

وما ذهب إليه سيد قطب من الربط بين الصوت في الآية ودلالتها هو ماذهب إليه ابن عاشور وغيره أيضا؛ حيث يقول ابن عاشور في تفسيره:﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾؛أي صاح عليهم ربهم صيحة غضب، والمراد بهذه الدمدمة صوت الصاعقة والرجفة التي أهلكوا بها، قال تعالى:﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾[الحجر:73]، وإسناد ذلك إلى الله مجاز عقلي لأن الله هو خالق الصيحة وكيفياتها. فوزن دمدم فعلل، وقال أكثر المفسرين: دمدم عليهم أطبق عليهم الأرض، يقال: دمم عليه القبر، إذا أطبقه **ودمدم مكرر دمم للمبالغة** مثل كبكب، وعليه فوزن دمدم فعلل.

وفرع على "دمدم عليهم"، ﴿فَسَوَّاهَا﴾؛ أي فاستووا في إصابتها لهم فضمير النصب عائد إلى الدمدمة المأخوذة من "دمدم عليهم"[1].

وقريب منه ما قاله الرازي في تفسيره:أما قوله تعالى: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾؛ فاعلم أن في الدمدمة وجوهاً أحدها: قال الزجاج: معنى دمدم أطبق عليهم العذاب، يقال: دمدمت على الشيء إذا أطبقت عليه،... فجعل الزجاج دمدم من هذا الحرف على التضعيف نحو كبكبوا وبابه، فعلى هذا معنى دمدم عليهم ، أطبق عليهم العذاب وعمهم...

الوجه الثاني: تقول للشيء: يدفن دمدمت عليه، أي سويت عليه، فيجوز أن يكون معنى فدمدم عليهم، فسوى عليهم الأرض بأن أهلكهم فجعلهم تحت التراب الوجه الثالث: قال ابن الأنباري: دمدم غضب، والدمدمة الكلام الذي يزعج الرجل ورابعها: دمدم عليهم أرجف

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج30، ص331.

الأرض بهم رواه ثعلب عن ابن الأعرابي، وهو قول الفراء، أما قوله :{فَسَوَّاهَا} يحتمل وجهين، وذلك لأنا إن فسرنا الدمدمة بالإطباق والعموم، كان معنى فسوى الدمدمة عليهم وعمهم بها،وذلك أن هلاكهم كان بصيحة جبريل عليه السلام، وتلك الصيحة أهلكتهم جميعاً، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم، وإن فسرناها بالتسوية، كان المراد فسوى عليهم الأرض[1].

فالملاحظ مما سبق تناغم اللفظ جرساً ووزناً مع المعنى؛ فلفظ دمدم تتكون من مقطعين: (دم، دم)، أنتج موسيقي انسجمت مع سياق النص ودلالاته وهو يوحي بجرسه إلى ذلك الغضب الشديد وإلى ذلك العذاب وما ينجم عنه من دمار عنيف شديد، فرسم بموسيقاه المشهد من قبل أن ترسمه الدلالة المعجمية للألفاظ، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "دمم" أنّ: "دمم: دمدم إذا عذب عذاباً شديداً[2]، وقال ابن الأنباري: دمدم أي غضب"[3].

حيث اختزلت اللفظة معاني الغضب الشديد، والاطباق عليهم من كل جانب، ومضاعفة العذاب تسويه عليهم.

النمـــــــــــوذج التطبيقي الثاني:

قوله تعالى:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2)﴾[الزلزلة: 1-2].

جاء في تفسير الظلال في هذه الآية: إنه يوم القيامة حيث ترتجف الأرض الثابتة ارتجافاً، وتزلزل زلزالا، وتنفض ما في جوفها نفضاً، وتخرج ما يثقلها من أجساد ومعادن وغيرها مما حملته طويلاً وكأنها تتخفف من هذه الأثقال، التي حملتها طويلاً!

وهو مشهد يهز تحت أقدام المستمعين لهذه السورة كل شيء ثابت؛ ويخيل إليهم أنهم يترنحون ويتأرجحون، والأرض من تحتهم تهتز وتمور! مشهد يخلع القلوب من كل ما تتشبث به من هذه الأرض، وتحسبه ثابتاً باقياً؛ وهو الإيحاء الأول لمثل هذه المشاهد التي يصورها القرآن، ويودع فيها حركة تكاد تنتقل إلى أعصاب السامع بمجرد سماع العبارة القرآنية الفريدة![4].

فمراد الخطاب القرآني كما حدده سيد قطب أنه موجه إلى الناس يصف فيه يوم القيامة وما

[1] تفسير الفخر الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، دار إحياء التراث العربي، ج17، ص53.

[2] لسان العرب، ابن منظور، مادة (د،م،م)، ج3، ص400.

[3] المرجع نفسه، ج12، ص208.

[4] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج8، ص83.

يصحبه من حركات شديدة وعنيفة، إذ يقول: "إنها هزة عنيفة للقلوب الغافلة، هزة يشترك فيها الموضوع والمشهد والإيقاع اللفظي، وصيحة قوية مزلزلة للأرض ومن عليها؛ فما يكادون يفيقون حتى يواجههم الحساب والوزن والجزاء في بضع فقرات قصار!"[1]

فلقد كان لصوت الألف في فاصلة الآية أثراً بارزاً أضف لصورة الزلزلة الشديدة صوتاً مدياً واضحاً مرعباً مطلقاً فهو صوت غير مقيد بحدود، إذ زلزلت الأرض زلزالاً عنيفاً تلقي بجرسها قرعاً شديداً في آذان المستمعين، والتكرار الواقع في لفظتي "زلزلت زلزالها" انتج تلك الموسيقي التي انسجمت مع سياق الخطاب القرآني ودلالاته رسم بموسيقاه ذلك المشهد الشاخص المزلزل للقلوب.

وما ذهب إليه سيد قطب من الربط بين الصوت في الآية ودلالاتها، فمثله ما ذهب إليه السمين الحلبي في تفسيره عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ بقوله: قوله تعالى:﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1)﴾[الزلزلة: 1]؛ الزلزلة: الحركة الشديدة جدًا، يروى أنها تتحرك وتضطرب اضطرابًا شديدًا حتى تخرج ما في بطنها إلى ظهرها من أمواتٍ وكنوزٍ، فذلك قوله:﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2)﴾[الزلزلة: 2]. ومن ثم استعظمها عظيم العظماء في قوله تعالى:﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1)﴾[الحج: 1] وذلك بالنسبة إلينا، إذ لا يعظم عنده شيء. وقوله:﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شديداً﴾[الأحزاب: 11] إشارة إلى ما لقوا من الأذى، فإنهم أزعجوا وحركوا بأنواع المصائب والرزايا. وقوله:﴿وَزُلْزِلُوا حَتَى يَقُولَ الرسُولُ﴾[البقرة: 214] من ذلك. والزلزال عند العرب: الدواهي العظام، وتكرير لفظه يدل على تكرير معناه. والزلزال – بالكسر – المصدر، وبالفتح الاسم. وقيل: هو بمعنى المزلزل[2].

وقريبٌ منه ما ذهب إليه الشنقيطي في تفسيره بقوله: والزلزلة: الحركة الشديدة بسرعة، ويدل لذلك فقه اللغة من وجهين:

---

[1] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، أبو العباس شهاب الدينأحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، 1417هـ، 1996م، ط1، ج1، ص146.

الأول: تكرار الحروف، أو ما يقال تكرار المقطع الواحد، مثل صلصل وقلقل وزقزق،فهذا التكرار يدل على الحركة.

والثاني: وزن فعل بالتضعيف كغلّق وكسّر وفتّح، فقد اجتمع في هذه الكلمة تكرار المقطع وتضعيف الوزن.

ولذا، فإن الزلزال أشد ما شهد العالم من حركة، وقد شوهدت حركات زلزال في أقل من ربع الثانية، فدمر مدنا وحطم قصورا.

ولذا فقد جاء وصف هذا الزلزال بكونه شيئا عظيما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1)﴾ [الحج: 1]، ويدل على هذه الشدة تكرار الكلمة في «زلزلت» وفي «زلزالها»، كما تشعر به هذه الإضافة"[1].

فالملاحظ مما سبق أنّ لفظة زلزل فيها تكرار الحرف الذي يدل على الحركة المناسبة لمعنى الزلزلة التي تميد فيها الأرض وترتج بمن عليها، كما أن لصفات حرف الزاي تناغم مع ما يرافق حركة الأرض كصفة الصفير الدالة على الحدة وصفة الثقلِ والجهر كلها صفات مناسبة لمعاني ارتجاف الأرض وتأرجحها واهتزازها هزاً عنيفاً.

النمـــــــــــــوذج التطبيقي الثالث:

قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[الفجر: 21]

جاء في تفسير الظلال في هذه الآية : "وعند هذا الحد من فضح حقيقة حالهم المنكرة، بعد تصوير خطأ تصورهم في الابتلاء بالمنع والعطاء، يجيء التهديد الرعيب بيوم الجزاء وحقيقته، بعد الابتلاء ونتيجته، في إيقاع قوي شديد:

﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا (21) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا (22) وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (23) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي

[1] أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، 1415هـ، 1995م، ج9، ص56، 57.

﴿24﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ ﴿25﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ ﴿26﴾﴾[الفجر: 21- 26].

ودكّ الأرض، وتحطيم معالمها وتسويتها؛ هو أحد الانقلابات الكونية التي تقع في يوم القيامة. فأما مجيء ربك والملائكة صفا صفا، فهو أمر غيبي لا ندرك طبيعته ونحن في هذه الأرض. ولكنا نحس وراء التعبير بالجلال والهول، كذلك المجيء بجهنم نأخذ منه قربها منهم وقرب المعذبين منها وكفى. فأما حقيقة ما يقع وكيفيته فهي من غيب الله المكنون ليومه المعلوم. إنما يرتسم من وراء هذه الآيات، ومن خلال موسيقاها الحادة التقسيم، الشديدة الأسر،مشهد ترجف له القلوب، وتخشع له الأبصار والأرض تدك دكا دكا"[1].

ربط سيد قطب رحمه الله بين ماكان يتغاياه الخطاب القرآني في هذه الآية وبين الجانب الصوتي فيها، فمراد الخطاب كما حدده سيد قطب هو أنه بعد أن نشر واقعهم وفضحه انتقل بهم إلى التهديد والتحذير من الابتلاء وما ينجر عنه مستغلا في ذلك الإيقاع الموسيقي القويفنجده يقول:"إنما يرتسم من وراء هذه الآيات، ومن خلال موسيقاها الحادة التقسيم، الشديدة الأسر، مشهد ترجف له القلوب ، وتخشع له الأبصار والأرض تدك دكا دكا".

فالتكرار الواقع في قوله تعالى "دكا دكا" نتج موسيقى انسجمت مع سياق النص ودلالاته فهو مزلزل مخيف مرجف يرسم بموسيقاه المشهد من قبل أن ترسمه الدلالة المعجمية للألفاظ، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة دكّ ان:"الدَّكُّ: هدم الجبل والحائط ونحوهما، دَكَّه يَدُكُّه دَكّاًالليث: الدَّكّ كسر الحائط والجبل. وجبل دُكٌّ: ذليل، وجمعه دِكَكَةٌ مثل جُحْر وجِحرَة. وقد تَدَكْدَكَتِ الجبالُ أَي صارت دَكَّاوَات، وهي رواب من طين، واحدتها دَكَّاء[2].

وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وحُمِلت الأَرض والجبالُ فدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾[الحاقة: 14]؛ قال الفراء: دَكُّها زلزلتها، ولم يقل فدكِكْنَ لأنه جعل الجبال كالواحدة، ولو قال فدُكَّتْ دَكَّةً لكان صواباً. قال ابنالإعرابي: دَكَّ هَدَم ودُكَّ هُدِمَ. والدِّكَكُ: القيرانُ المنْهالة،والدِّكَكُ: الهِضاب المفسَّخة.والدَّكُّ: شبيه بالتل، والدَّكَّاءُ: الرَّابية من الطين ليست بالغليظة،والجمع دَكَّاوَاتٌ، أَجروه

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج8، ص36، 37.

[2] لسان العرب، ابن منظور، ج10، ص424، مادة (د.ك.ك).

مجرى الأسماء لغلبته كقولهم ليس في الخَضْرَاواتِ صدقة. وأَكَمة دَكَّاء إذا اتسع أَعلاها، والجمع كالجمع نادر لأن هذا صفة. والدَّكَّاواتُ: تلال خلقة، لا يفرد لها واحد؛ قال ابن سيده: هذا قول أَهل اللغة، قال: وعندي أَن واحدتها دَكَّاءٍ كما تقدم،وقال الأصمعي:الدَّكَّاوَاتُ من الأَرض الواحدة دَكَّاء وهي رَوَابٍ من طين ليست بالغِلاظ، وقال: وفي الأَرض الدِّكَكَةُ، والواحد دُكّ، وهي رَوابٍ مشرفة من طين فيها شيء من غلظ، ويُجْمَع الدَّكَّاءُ من الأَرض دَكَّاوات ودُكّاً، مثل حَمْراوات وحُمْر[1].

وماذهب إيه سيد قطب من الربط بين الصوت في الآية ودلالتها هو ماذهب إليه القرطبي وغيره أيضا، حيث يقول القرطبي في تفسيره : وقوله-تبارك وتعالى-: كَلَّا إِذا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ردع لهم وزجر عن أفعالهم السابقة، وهي عدم إكرام اليتيم، وعدم الحض على طعام المسكين.

وقوله: دُكَّتِ الْأَرْضُ من الدك: بمعنى الكسر والدق والزلزلة الشديدة، والتحطيم الجسيم، وانتصب لفظ «دكا» الأول على أنه مصدر مؤكد للفعل، وانتصاب الثاني على أنه تأكيد للأول.

وقيل: تكرار «دكا» للدلالة على الاستيعاب، كقولك: قرأت النحو بابا بابا، أي: قرأته كله.

أي: ما هكذا ينبغي أن يكون الأمر.

فهو رد لانكبابهم على الدنيا، وجمعهم لها، فإن من فعل ذلك يندم يوم تدك الأرض، ولا ينفعه الندم، والدك: الكسر والدق، أي: زلزلت وحركت تحريكا بعد تحريك.

وقوله: دَكًّا دَكًّا أي: مرة بعد مرة، زلزلت فكسر بعضها بعضا فتكسر كل شيء على ظهرها[2].

وقريب من هذا نجد ماقاله ابن عاشور في التحرير والتنوير بقوله:"فَحاصِلُ الكَلامِ السّابِقِ أنَّ الإنْسانَ الكافِرَ مَغْرُورٌ يَنُوطُ الحَوادِثَ بِغَيْرِ أسْبابِها، ويَتَوَهَّمُها عَلى غَيْرِ ما هِيَ ولا يُصْغِي إلى دَعْوَةِ الرُّسُلِ فَيَسْتَمِرُّ طُولَ حَياتِهِ في عَمايَةٍ، وقَدْ زُجِرُوا عَنْ ذَلِكَ زَجْرًا مُؤَكَّدًا.

[1] المرجع السابق، والمادة نفسها.

[2] ينظر: الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ، 2003م، ج20، ص54.

وأُتْبِعَ زَجْرُهم إنْذارًا بِأنَّهم يَحِينُ لَهم يَوْمٌ يُفِيقُونَ فِيهِ مِن غَفْلَتِهِمْ حِينَ لا تَنْفَعُ الإفاقَةُ"[1].

فالمؤكد أن القرآن الكريم يستثمر كل ماتتيحه اللغة من دلالة وصوت لغاية تحقيق التأثير في المتلقين وهو مانجده مجسد في هذه الآية حيث أعطى الصوت أهمية بالغة لتحقيق مراده وهو ماركز عليه سيد قطب وأثاره.

النمـــــــــــــوذج التطبيقي الرابع:

قوله تعالى: ﴿الْقَارِعَةُ(1) مَا الْقَارِعَةُ(2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ(3)﴾[القارعة: 1-3].

جاء في تفسير الظلال هذه الآية:

"والقارعة توحي بالقرع واللطم، فهي تقرع القلوب بهولها.

والسورة كلها عن هذه القارعة وحقيقتها وما يقع فيها وما تنتهي إليه؛ فهي تعرض مشهداً من مشاهد القيامة.

قال سيد قطب: لقد بدأ بإلقاء الكلمة مفردة كأنها قذيفة: {القارعة} بلا خبر ولا صفة لتلقي بظلها **وجرسها الإيحاء المدوي المرهوب!**، ثم أعقبها سؤال التهويل: {ما القارعة؟}؛ فهي الأمر المستهول الغامض الذي يثير الدهش والتساؤل!، ثم أجاب بسؤال التجهيل: {وما أدراك ما القارعة؟}؛فهي أكبر من أن يحيط بها الإدراك، وأن يلم بها التصور!، ثم الإجابة بما يكون فيها، لا بماهيتها، فماهيتها فوق الإدراك والتصور كما أسلفنا:

{يوم يكون الناس كالفراش المبثوث، وتكون الجبال كالعهن المنفوش}

هذا هو المشهد الأول للقارعة، مشهد تطير له القلوب شعاعاً، وترجف منه الأوصال ارتجافاً. ويحس السامع كأن كل شيء يتشبث به في الأرض قد طار حوله هباء!"[2].

فمراد الخطاب القرآني كما يحدده سيد قطب فضلا عن الجانب التركيبي بكمن في الربط بين الآيات وبين الجانب الصوتي لها حيث وُصف يوم القيامة بـــالقارعة وهو ما يقرع بجرسه المدوي القلوب والآذان وذلك لعظمة شأنها وأهوالها ومدى شدتها وقساوتها، حيث جاءت القارعة مكررة مع الاستفهام (القارعة. ما القارعة؟ وما أدراك ما القارعة؟) وذلك لتأكيد تهويلها وزيادة

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج30، ص335.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج8، ص87.

عظمتها نتج عنه ذلك الإيقاع الموسيقي القوي، "فَالقَارِعَةُ" تشي بالصوت المدوي الذي يصك المسامع ويقرع الكون بالدمار، تعبير مروع لبيان هول القيامة أحدثه جرس اللفظ بما يوحى به حروفه مثل القاف والراء والعين، ويديمه ويقويه حرف المد حيث يصيب الكون كله[1]، إذ يقول سيد قطب في كتابه مشاهد القيامة: "ومن تناسق العرض أن تسمى القيامة بالقارعة، ليتسق الظل الذي يلقيه اللفظ، والجرس الذي تشترك فيه حروفه كلها"[2].

تماثلت نهايات الفواصل الثلاث الأولى عند الوقف عليها بصوت حرف الهاء المهموس الشديد بإيقاعه والقوي "باهتزازاته العميقة في باطن الحلق يوحي بالاضطرابات النفسية التي تعتري الانسان من ألم وأسى وحزن"[3]، إذ حمل إيحاءات صوتية تعبيرية تنقل المشهد وينسجم تماما مع حالة القرع والفزع وأهوال يوم القيامة، فقد حققت بذلك صوتاً كان وقعه في النفس شديد وبقرع جرسه في الأذن وفزع القلوب بشدة صداها وإيقاعها، فرسم بإيقاعه دلالة المشهد من قبل أن ترسمه الدلالة المعجمية للألفاظ، فقد جاء في مقاييس اللغة لابن فارس في مادة "قرع" أنّ: "القاف والراء والعين معظمُ البابِ ضربُ الشيء. يقال قَرَعْتُ الشيءَ أقرَعُه: ضربتُه. والإقراع والمقارَعة: هي المساهمَة. وسمِّيت بذلك لأنَّها شيءٌ كأنَّه يُضرَب. والقارعة: الشَّديدة من شدائد الدهر؛ وسمِّيت بذلك لأنَّها تقرع الناس، أي تضربُهم بشدَّتها. والقارعة: القِيامةُ، لأنَّها تَضرِبُ وتُصيب النَّاسَ بإقراعها"[4].

وما ذهب إليه سيد قطب من تفسير والربط بين الصوت في الآية ودلالتها هو ما ذهب إليه البقاعي في تفسيره:"قال: {القارعة} أي الصيحة أو القيامة، سميت بها لأنها تقرع أسماع الناس وتدقها دقاً شديداً عظيماً مزعجاً بالأفزاع، والأجرام الكثيفة بالتشقق والانفطار، والأشياء الثابتة بالانتثار.

ولما كانت تفوق الوصف في عظم شأنها وجليل سلطانها، عبر عن ذلك وزاده عظماً بالإلهام والإظهار في موضع الإضمار مشيراً بالاستفهام إلى أنها مما يستحق السؤال عنه على

[1] الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال، https://darululoom-deoband.com/، 06/05/2024م، 16:25م.

[2] مشاهد القيامة في القرآن الكريم، سيد قطب، ص76.

[3] خصائص الحروف العربية ومعانيها، حسن عباس، منشورات اتحاد الكتاب العرب دمشق، 1998م، ص192.

[4] معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ج5، ص72.

وجه التعجيب والاستعظام فقال: {ما القارعة} وأكد تعظيمها إعلاماً بأنه مهما خطر ببالك من عظمها فهي أعظم منه فقال: {وما أدراك} أي وأيّ شيء أعلمك وإن بالغت في التعرف، وأظهر موضع الإضمار لذلك فقال: {ما القارعة} أي أنك لا تعرفها لأنك لم تعهد مثله.

وقال الإمام أبو جعفر بن الزبير: لما قال الله سبحانه وتعالى: «أفلا يعلم إذا بعثر ما في القبور وحصل ما في الصدور» كان ذلك مظنة لأن يسأل: متى ذلك؟ فقيل: يوم القيامة الهائل الأمر، الفظيع الحال، الشديد البأس، والقيامة هي القارعة، وكررت تعظيماً لأمرها كما ورد في قوله تعالى:﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾[الحاقة: 1- 2]"[1].

يتفق تحليل سيد قطب والبقاعي لـ "القارعة" على أنها تُشير إلى شدة يوم القيامة وعظمها؛ فقد ربطا بين صوتها المدوي ودلالاتها،موضحين أنها تُقرع أسماع الناس وتدقّها دقّاً شديدًا عظيماً مزعجًا.

كما اتّفقا على أن هذه الصيحة تفوق الوصف في عظم شأنها وجليل سلطانها،فاستخدما أسلوب الاستفهام والتعجب للتأكيد على عظمها، بينما ربط سيد قطب عظم "القارعة" بِعدم قدرة الإنسان على تصورها،فقد ربطها البقاعي بِشدّة يوم القيامة وفظاعته.

ويُظهر هذا الاتفاق بين التفسيرين دقتهما وبراعتهما في استخدام اللغة العربية لخلق تأثيرات جمالية ومعنوية عميقة على القارئ.

النمـــــــــــــوذج التطبيقي الخامس:

قال تعالى:﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ (18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (19)﴾[الانشقاق: 16-19].

جاء في تفسير الظلال في هذه الآيات:

[1] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، ج9، ص497.

"فالشفق هو: الوقت الخاشع المرهوب بعد الغروب، وبعد الغروب تأخذ النفس روعة ساكنة عميقة، ويحس القلب بمعنى الوداع وما فيه من أسى صامت وشجى عميق، كما يحس برهبة الليل القادم، ووحشة الظلام الزاحف ويلفه في النهاية خشوع وخوف خفي وسكون!

{والليل وما وسق}؛ هو الليل وما جمع وما حمل بهذا التعميم، وبهذا التجهيل، وبهذا التهويل والليل يجمع ويضم ويحمل الكثير، ويذهب التأمل بعيداً، وهو يتقصى ما يجمعه الليل ويضمه ويحمله من أشياء وأحياء وأحداث ومشاعر، وعوالم خافية ومضمرة، سارية في الأرض وغائرة في الضمير، ثم يؤوب من هذه الرحلة المديدة، ولم يبلغ من الصور ما يحتويه النص القرآني القصير:{والليل وما وسق}، إنما يغمره من النص العميق العجيب، رهبة ووجل، وخشوع وسكون تتسق مع الشفق وما يضفيه من خشوع وخوف وسكون!

{والقمر إذا اتسق}؛ مشهد كذلك هادئ رائع ساحر وهو القمر في ليالي اكتماله وهو يفيض على الأرض بنوره الحالم الخاشع الموحي بالصمت الجليل، والسياحة المديدة، في العوالم الظاهرة والمكنونة في الشعور وهو جو له خفية بجو الشفق، والليل وما وسق يلتقي معهما في الجلال والخشوع والسكون.

{لتركبن طبقاً عن طبق}؛ أي لتعانون حالاً بعد حال، وفق ما هو مرسوم لكم من تقديرات وأحوال ويعبر عن معاناة الأحوال المتعاقبة بركوبها والتعبير بركوب الأمور والأخطار والأهوال والأحوال مألوف في التعبير العربي.

هذه اللمحات الكونية الجميلة الجليلة الرائعة المرهوبة الموحية يلتقطها القرآن لقطات سريعة، ويخاطب بها القلب البشري، الذي يغفل عن خطابها الكوني ويلوح بالقسم بها ليبرزها للمشاعر والضمائر، في حيويتها، وجمالها وإيحائها وإيقاعها، ودلالتها على اليد التي تمسك بأقدار هذا الكون، وترسم خطواته، وتبدل أحواله وأحوال الناس أيضاً وهم غافلون.

وهذا التتابع المتناسق في فقرات السورة، والانتقال اللطيف من معنى إلى معنى، ومن جولة إلى جولة، هو سمة من سمات هذا القرآن البديع"[1].

ساق سيد هاته الآيات البديعة متسقةً منسجمة؛ ففي لفظة الشفق أبرز شدة حلكة الليل، وفي

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص498، 499.

الوسق الرهبة والسكون، وفي اتساق القمر ذلك السحر والجمال والبهاء الذي يخيّم على السماء، وفي (لتركبن طبقا عن طبق)؛ لإيضاح معنى ما سيأتيكم لا محالة.

ففي هذه الالفاظ المختارة والانتقالات الساحرة معانٍ بديعة لتزيد النص القرآني رونقا وجمالاً.

جاءت فواصل هذا المقطع متساوية في الوزن ذات إيقاع متحد انبثق من تآليف الحروف في الكلمات وتناسق الكلمات في الجمل، حيث تماثلت فوصل هاته الآيات في صوت حرف القاف الذي هو من حروف القلقة الذي أضفى بشدة قلقلته تنغيماً، ولمحات ذات طابع خاص جمع بين الخشوع الساكن والجلال المرهوب متناسق في عرض مشاهد الكون وجمالية مشهد الغروب والليل والقمر وهذا ما ذهب إليه سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن.

كما نجد أن محمد الطاهر بن عاشور قد أشار إلى أهمية الجانب الصوتي وذلك بالتناسق الحادث ما بين الإيقاعين بقوله:

ومناسبة الأمور المقسم بها هنا للمقسم عليه لأن الشفق والليل والقمر تخالط أحوالا بين الظلمة وظهور النور معها، أو في خلالها، وذلك مناسب لما في قوله: لتركبن طبقا عن طبق؛ أي: لتركبن حالا بعد حال، والأظهر أنه تهديد بأهوال القيامة فتنوين «طبق» في الموضعين للتعظيم والتهويل وعن بمعنى (بعد) والبعدية اعتبارية، وهي بعدية ارتقاء، أي لتلاقن هولا أعظم من هول"، كقوله تعالى: ﴿نَزِدْنَاهُمْ عَذَاباً فَوْقَ الْعَذَابِ﴾[النحل: 88]، فقد نسج نظمها نسجا مجملا لتوفير المعاني التي تذهب إليها أفهام السامعين، فجاءت على أبدع ما ينسج عليه الكلام الذي يرسل إرسال الأمثال من الكلام الجامع البديع النسج الوافر المعنى؛ فكان ذكر الشفق إيماء إلى أنه يشبه حالة انتهاء الدنيا، وأن ذكر الليل إيماء إلى شدة الهول يوم الحساب وذكر القمر إيماء إلى حصول الرحمة للمؤمنين[1].

النمـــــــــــــوذج التطبيقي السادس:

قوله تعالى:﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5)﴾[النازعات: 1-5].

[1] ينظر: التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج30، 226، 227، 229.

جاء في تفسير ظلال في هاته الآيات:

قيل في تفسير هذه الكلمات: إنها الملائكة نازعات للأرواح نزعاً شديداً، ناشطات منطلقات في حركاتها، سابحات في العوالم العليا سابقات للإيمان أو للطاعة لأمر ربها مدبرات ما يوكل من الأمور إليها.

وقيل: إنها النجوم تنزع في مداراتها وتتحرك وتنشط منتقلة من منزل إلى منزل، وتسبح سبحاً في فضاء الله وهي معلقة به، وتسبق سبقاً في جريانها ودورانها، وتدبر من النتائج والظواهر ما وكله الله إليها مما يؤثر في حياة الأرض ومن عليها.

وقيل: النازعات والناشطات والسابحات والسابقات هي النجوم، والمدبرات هي الملائكة.

وقيل: النازعات والناشطات والسابحات هي النجوم، والسابقات والمدبرات هي الملائكة[1].

فقد جاء هذا الجزء من السورة لإشعار القلب البشري بحقيقة الآخرة الهائلة الضخمة العظيمة الكبيرة فيوقع السياق إيقاعات منوعة على أوتار القلب، ويلمسه لمسات شتى حول تلك الحقيقة الكبرى وهي إيقاعات ولمسات تمت إليها بصلة، فتلك الحقيقة تمهد لها في الحس وتهيئه لاستقبالها في يقظة وفي حساسية، ويمهد لها بمطلع غامض لكنه يثير بغموضه شيئاً من الحدس والرهبة والتوجس، يسوقه في إيقاع موسيقي راجف لاهث، كأنما تنقطع به الأنفاس من الذعر والارتجاف والمفاجأة والانبهار[2].

فقد ربط سيد قطب بين الصوت ودلالات هاته الآيات وإيقاعها العظيم الراجع، فقد أبدع في رسم معانيها حتى يخيلُ وكأنك تعيش وسط هاته الأحداث في مشاهد فنية مكتملة الملامح متناسقة الجزئيات؛ فانظُر لهاته الآيات المتراكبة والألفاظ المتناسقة والعبارات المتألقة ذات التأثير الخاطِف لهاته المشاهد المرعبة وكأنها إنذارٌ ليوم القيامة، فالنازعات هي من تنزع الأرواح نزعا شديدا مهيبًا.

وانظر إلى انسجام الأصوات في الفواصل وإلى توالي الآيات وتضافرها والتي نتج عنها جرساً موسيقياً عاماً تماشى مع سياق الخطاب القرآني.

فجرس الكلمات ونغم عبارات الآيات وموسيقى السياق أبرز ألواناً جرسية وإيقاعاً تناسق

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص441.

[2] ينظر: المرجع نفسه، ص440.

وانسجم مع الموضوع والمشهد وجوّ السورة العام وهذا ما أشار إليه سيد قطب في كتابه التصوير الفني في القرآن الكريم ولم يشر إليه في تفسيره الظلال إذ نجده يقول في نفس السورة والآيات: "ففيها أسلوبان موسيقيان وإيقاعان منسجمان مع جوين فيها تمام الانسجام، أولهما يظهر في هذه المقطوعة، السريعة الحركة، القصيرة الموجة، القوية المبنى، تنسجم مع جو مكهرب، سريع النبض، شديد الارتجاف"[1]، حيث تناسق الإيقاع فيه مع الجو العام للسورة ذي الدلالة البليغة المؤثرة.

النمـــــــــــــوذج التطبيقي السابع:

قال تعالى: ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5) إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8) أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (10) إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (11)﴾[العاديات: 1-11].

جاء في الظلال في تفسير هذه السورة:

يجري سياق هذه السورة في لمسات سريعة عنيفة مثيرة، ينتقل من إحداها إلى الأخرى قفزاً وركضاً ووثباً، في خفة وسرعة وانطلاق، حتى ينتهي إلى آخر فقرة فيها فيستقر عندها اللفظ والظل والموضوع والإيقاع! كما يصل الراكض إلى نهاية المطاف!

﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا (5)﴾؛ بدأت السورة بمشهد القسم من الله سبحان هب الخيل العادية الضابحة بأصواتها المعروفة حين تجري القادحة للشرر بحوافرها، المغيرة مع الصباح ، المثيرة للنقع والغبار، الداخلة في وسط العدو فجأة تأخذه على غرة، وتثير في صفوفه الذعر والفرار!،

والقسم بالخيل في هذا الإطار فيه إيحاء قوي بحب هذه الحركة والنشاط لها، بعد الشعور بقيمتها في ميزان الله والتفاته سبحانه إليها، وذلك فوق تناسق المشهد مع المشاهد المقسم عليها

[1] التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، ص111.

والمعقب بها.

يليه مشهد في النفس من الكنود والجحود والأثرة والشح الشديد؛ بقوله:﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ (6) وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ (7) وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (8)﴾

ثم تجيء اللفتة الأخيرة في السورة لعلاج الكنود والجحود والأثرة والشح، لتحطيم قيد النفس وإطلاقها منه، مع عرض مشهد البعث والحشر في صورة تنسي حب الخير، وتوقظ من غفلة البطر:﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ (9) وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ (10)﴾

وهو مشهد عنيف مثير، بعثرة لما في القبور، بعثرة بهذا اللفظ العنيف المثير، وتحصيل لأسرار الصدور التي ضنت بها وخبأتها بعيداً عن العيون، تحصيل بهذا اللفظ العنيف القاسي، فالجو كله عنف وشدة وتعفير وتصور لكل ما يمكن أن يصاحب هذه الحركات العنيفة من آثار وعواقب.

ويختم هذه الحركات الثائرة باستقرار ينتهي إليه كل شيء، وكل أمر، وكل مصير:﴿إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ (11)﴾"[1].

ساق سيد قطب هاته الآيات لإيصال تلك المشاهد العنيفة يوم القيامة حيث افتَتحت القسم بالخيول وعظمتها، مستخدمًا ذلك الإيقاع الصوتي الرنّان(ضبحًا،قدحًا،صبحًا،نقعًا..)، منتقلًا إلى إيقاعٍ هادئ في ذكر جحود الإنسان (لكنود،لشهيد،لشديد)، وكأن انتهاء الفواصل بالمد في مشهد ذكر الخيل مناسبٌ لمعاني العطاء والبذل الذي هو طبيعة وسجية في الخيل، وفي الحديث: "الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ"[2]، أما انتهاء الفواصل بالسكون والهدوء فمناسب لجحود الانسان ومنعه، ولا يخفى ما في ذلك من معاني تعقير الانسان وتأنيبه عن طريق عقد مقارنة بينه ولبن حيوان أعجم، مختتمًا بذلك بمشهدٍ مفزعٍ من مشاهد البعث والنشور لإيقاظ هذه النفس الكنود الجاحدة من غفلتها بإيقاعٍ سريع متدافع(بعثر مافي القبور، حصل مافي الصدور) إلى آخر إيقاع لتهدئة النفس واستقرار الأمر (ان ربهم بهم يومئذ لخبير)

[1] ينظر: في ظلال القرآن، ج8، ص85، 86.

[2] رواه البخاري، صحيح البخاري، باب: الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ، حديث رقم2850، ج9، ص452.

فكل شيء راجع لله سبحانه وتعالى.

وعند عودتنا إلى كتابهِ التصوير الفني في القرآن الكريم نجد أن سيد قطب قد أضاف على ما ذكره في الظلال معلقاً على هذه السورة وهو يتناول الجانب الصوتي والإيقاعي فيها بقوله: "إن الموسيقى هنا لشبيهة بموسيقى النازعات، بل هي أشد وأعنف، وفيها خشونة ودمدمة وفرقعة، وهي تناسب الجو الصاخب المعفّر الذي تنشئه القبور المبعثرة، والصدور المحصّل ما فيها بقوة، وجو الجحود وشدة الأثر"[1].

تنوعت فواصل هذه السورة من مقطعٍ لآخر، فالمقطع الأول منها انتهى بفاصلة الحاء المدودة والعين المدودة بنفس النعمة الموسيقية وبنفس المقطع الصوتي تكرر فيه المدود الذي أدى إلى انتظام جرسها، فالتكرار يولد جرساً ذا قطع صوتية متشابهة منظمة، وأما المقطع الثاني فاختلف جرس الفواصل فيه بصوت حرف الدّال الشديد المجهور الذي هو من حروف القلقة، مما جعل جوّ هذا القسم يتّسم بوحدة النّغمة وبالرهبة المقرونة بالتّأمل، وأمّا المقطع الثالث فاختلف جرس فواصله عن القسم الأول والثاني بحرف الرّاء المجهور المتكررة الذي حقق جرساً عالياً وإيقاعاً متكرراً[2].

فهذه الأصوات الثلاثة (الدال، والراء، والباء) ساعدت على إضفاء جو الرهبة والقوة والشدة بفعلِ خصائصها (الشدة، والجهر، والقلقة، والتكرار)[3].

فتنوع فواصلها مما أدّى إلى تعدّد المشاهد فأحتوى كل مشهد فيها إيقاعات خاصة تتناغم مع إيقاع السورة كُلها، فحقق التناسق مع الجو العام للسورة.

ومما يضيفه في كتابهِ مشاهد القيامة بوصفه العام لهذه السورة بقوله:

"فالإطار من جنس الصورة، والمشاهد كلها مبعثرة مغبرة، فيها المفاجأة والعنف، وفيها الشد والدفع، والموسيقى المصاحبة تلقى مثل الأثر في الحس، وفيها التناسق الملحوظ بين الصورة

---

[1] التصوير الفني، سيد قطب، ص126.

[2] ينظر: جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، محمد الصغير ميسه، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012م، ص74، 75.

[3] ينظر: التناسق الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب (مفهومه، درجاته، ومظاهره)، زينة بورويسة، مجلة المعيار، العدد43، 2018م، ص66.

والجرس"[1]. وهذا من براعة القرآن الكريم في تحقيق التلاؤم والتناسق والتناغم بين الآيات.

وأضافت عائشة عبد الرحمن لمستها الخاصة في هذه السورة حيث عبرت عنها بعبارات حادة بديعة بقولها:

"وتبدأ بعرض مشهد سريع لغارة عنيفة مفاجئة، تباعث القوم صبحاً فلا ينتبهون إليها وإلا وقد توسطت جمعهم فبعثرتهم وسط عاصفة من النقع المثار.

وتأتي هذه الصورة العنيفة بعد واو القسم، لافتة إلى ما عهد القوم من مثل نلك الغارات المفاجئة المصبحة، وما تحدث من بعثرة وحيرة وارتباك.

ثم تأتي بعدها صورة أخرى لغيب غير مشهود، ولكنه واقع حتماً: البعث يفجأ على غير موعد، فإذا هم في حيرة وبعثرة وارتباك، قد لفظتهم القبور لليوم الآخر ما الفراش المبثوث، وإذا كان ما في صدورهم قد حصل، لم تفلت منه خافية مضمرة، مطوية في أعماق الصدر ومستكن الضمير.

وفي كل كلمة، بل في كل حرف منها، سره البياني الباهر فيما قصد إليه القرآن من إحضار مشهد ليوم البعث شاخصاً مجسماً، وتأكيداً وقوعه، والإنذار بما ينتظر الإنسان فيه من حساب دقيق عسير"[2].

النمـــــــــــــوذج التطبيقي الثامن:

قوله تعالى:﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ(33)﴾[عبس: 33]

برز تفسير هذه الآية جلياً بقول سيد قطب:

"فأما المقطع الأخير فيتولى عرض ﴿الصَّاخَّةُ﴾يوم تجيء بهولها، الذي يتجلى في لفظها، كما تتجلى آثارها في القلب البشري الذي يذهل عما عداها

والصاخة لفظ ذو جرس عنيف نافذ، يكاد يخرق صماخ الأذن، وهو يشق الهواء شقاً، حتى يصل إلى الأذن صاخاً ملحاً.

وهو يمهد بهذا الجرس العنيف للمشهد الذي يليه: مشهد المرء يفر وينسلخ من ألصق الناس به:

---

[1] مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص73.

[2] التفسير البياني للقرآن الكريم، عائشة محمد علي عبد الرحمن، دار المعارف – القاهرة، ط7، ج1، ص103.

﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36)﴾[عبس: 34-36]، أولئك الذين تربطهم به وشائج وروابط لا تنفصم؛ ولكن هذه الصاخة تمزق هذه الروابط تمزيقاً، وتقطع تلك الوشائج تقطيعاً، ذلك حال الخلق جميعاً في هول ذلك اليوم"[1].

فقد ربط سيد قطب بين الصوت ومشهد هذا اليوم في هذه الآية، فما أقوى جرس هذا المصطلح"الصاخة"! فكأنه زلزالٌ يكاد يقرع الأذن من هوله وقوّته وحدة صوته ويسترسل به إلى الفرار من فلذات الأكباد وأقرب الناس.

وهذا ما نجده كذلك عند البقاعي في تفسيره إذ يقول في تناوله لنفس الآية:

"﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (33)﴾؛أي الصرخة العظيمة التي يبالغ في إسماع الأسماع بها حتى تكاد تصمها لشدتها، وكأنها تطعن فيها لقوة وقعتها وعظيم وجبتها، وتضطر الآذان إلى أن تصيخ إليها أي تسمع، وهي من أسماء القيامة، وأصل الصخ: الضرب بشيء صلب على مصمت"[2].

فإنّ هذه اللفظة تستدعي نسبة عالية من الضغطِ الصوتي، والأداء الجوهري لسماع رنتها، مما يتوافق نسبياً مع إرادتها في جلجلة الصوت، وشدة الإيقاع[3]، فقد رسمت هذه اللفظة بشدة موسيقاها المشهد من قبل أن ترسمه الدلالة المعجمية للألفاظ فقد جاء في لسان العرب في مادة "صخخ"، أن الصاخة هي: "كل صوت من وقع صخرة على صخرة ونحوه: صخ وصخيخ، وقد صخت تصخ؛ تقول: ضربت الصخرة بحجر فسمعت لها صخة. والصاخة: القيامة، وقال أبو إسحاق: الصاخة هي الصيحة التي تكون فيها القيامة تصخ الأسماع أي تصمها فلا تسمع إلا ما تدعى به للإحياء. وتقول: صخ الصوت الأذن يصخها صخا"[4].

وجاء أيضا في كتاب العين للخليل بن أحمد أن الصّاخّة: "صَيْحَةٌ تَصُخُّ الآذان فتُصِمُّها ويقال: هي الأمر العظيم يقال: رماه الله بصاخَّةٍ أي: بداهيةٍ وأَمْرٍ عَظيم، والغرابُ يَصُخُّ بِمِنْقارِهِ في دَبَرِ البَعير أي يَطْعَنُ فيه"[5].

---

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص451، 465، 466.

[2] نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، ج21، ص269.

[3] ينظر: الصوت اللغوي في القرآن، محمد حسين علي الصغير، ص168، 169.

[4] لسان العرب، ابن منظور، ج3، ص33.

[5] كتاب العين، أبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي، ج4، ص135.

فانظر إلى توالي الحروف في اللفظة؛ وهو حرف الصاد المستعل، المطبق، المشدد وحرف الخاء المستعل، المشدد، وحرف المد الطويل، فكل هذا مما أكسبت اللفظة قوة وغلظة وشدة، وفي هذا يقول ابن الجزري: "والشدة من علامات قوة الحرف، فإن كان مع الشدة جهر وإطباق واستعلاء فذلك غاية القوة، فإذا اجتمع اثنان من هذه الصفات أو أكثر فهي غاية القوة"[1]، وإن هذا كله حقق تناسقاً جمالياً عنيفاً رائعاً يجعل من المتلقي يستشعر المعنى عن طريق تناسب الأصوات وانسجامها مع الدلالة، بحيث ترجمت هذه اللفظة بصيغتها وجرسها وشدة نطق أصواتها دقة متناهية في دلالة هول ذلك اليوم الذي يبعث في النفس الألم والحزن والخوف لفرار الإنسان من أقرب الناس إليه.

النمـــــــــــــوذج التطبيقي التاسع:

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34)﴾[النازعات: 34]

وقد فسرّها سيد قطب بقوله:

"فإذا جاءت الطامة الكبرى غطت على كل شيء، وطمت على كل شيء على المتاع الموقوت، وعلى الكون المتين المقدر المنظم، على السماء المبنية والأرض المدحورة والجبال المرساة والأحياء والحياة وعلى كل ما كان من مصارع ومواقع، فهي أكبر من هذا كله، وهي تطم وتعم على هذا كله!"[2].

فلفظة الطامة الكبرى كما عبر عنها سيد قطب أنها: تصور العنف الشديد في ذلك اليوم الهائل والهبوط القوي الذي غطّى كل شيء وطمّه.

وعند عودتنا إلى مشاهد القيامة نجد أن سيد قطب قد أضاف على ما ذكره في الظلال وهو يعبر عن مدى هولها وشدة جرس إيقاعها الصوتي بقوله: "إنها الطامة الكبرى والطامة لفظة مصورة بجرسها لمعناها، فهي تطم وتعم وتربي وتطغى على السماء المبنية، والأرض المدحورة، والجبال المرساة، والليل المغْطَش والضحى المخرج... إنها تطم على كل شيء وتعم،

[1] التمهيد في علم التجويد، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، تح: الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض،1405هـ، 1985م، ط1، ص87.

[2] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص448.

وهي تجيء في إبّانها لتطم على هذا كله، وليطغى مشهدها على تلك المشاهد جميعاً"[1].

والطامة الكبرى كما عبر عنها القرطبي في تفسير بقوله: "أي الداهية العظمى، وهي النفخة الثانية، التي يكون معها البعث، وعن ابن عباس أيضا والضحاك: أنها القيامة؛ سميت بذلك لأنها تطم على كل شيء، فتعم ما سواها لعظم هولها"[2].

فلقد تجلى الإيحاء الصوتي لمعنى اللفظة من خلال صفات أصوات حروفها فالصوت الطاء المهجور الشديد المستعل المطبق، وصوت الميم المجهور المتوسط في الشدة والرخاوة، المشدّد فذلك مما ولّد إيقاعاً صوتياً شديداً تناسب مع دلالة اللفظة وتصورِ معناها "فالاستعلاء الذي هو في صفة حرف الطاء يناسب الغلبة والعلو الذي يطغى على كل أمر وهو المعنى الذي أفاده لفظة الكلمة وزادها تماماً وكمالاً في بلوغ المعنى المراد وهو إردافها بوصف "الطامة الكبرى"، إضافة إلى أن المد الصوتي يناسب طول يوم القيامة كما أنه يقابل إطباق الطامة على الكون"[3]، فرسمت بشدة موسيقاها المشهد من قبل أن ترسمه الدلالة المعجمية للألفاظ فقد جاء في لسان العرب في مادة (طمم): "طَمَّ الماءُ يَطِمُّ طَمّاً وطُمُوماً عَلا وغَمَر وكلُّ ما كَثُرَ وعَلا حتى غَلَب فقد طَمَّ يطِمُّ وطَمَّ الشيءَ يَطُمُّه طَمّاً غَمَره، وأَصله من طَمَّ الشيُ إذا عَظُمَ وطَمَّ الماءُ إذا كَثُرَ وهو طامٌّ والطامَّةُ الداهية تَغْلِب ما سِواها ومنه سُمِّيت القيامة طامّة وقال الفراء في قوله عز وجل (فإذا جاءت الطامّةُ) قال: هي القيامةُ تَطُمُّ على كل شيء ويقال تَطِمُّ وقال الزجاج: الطامّةُ هي الصَّيْحةُ التي تَطِمُّ على كل شيء"[4].

إنّ لفظة "الطّامّة الكبرى" نظيرتها لفظة "الصّاخّة"، التي تم ذكرها في النموذج السابق، ولفظة "القارعة" التي تم ذكرها في النموذج الرابع، فكل هذه الصيغ "تمتاز صوتياً بصداها الصوتي البعيد والمدوي يتفاعل مع النفس مترقباً للمجهول من حقائق ومفاجئات ونوازل"[5]،

---

[1] مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص225.

[2] الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، 1423هـ، 2003م، ج19، ص206.

[3] أثر المكون الصوتي في بلاغة الكلمة القرآنية عند سيد قطب، مليكة الطيبي، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة أحمد دراية أدرار، 2019م، ص28.

[4] لسان العرب، ابن منظور، مادة (ط،م،م)، ج12، ص370.

[5] الجوانب الصوتية في تفسير الكشاف للزمخشري، بلالي مبارك، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2013م، ص103.

وقد وصف سيد قطب لفظتا "الصاخّة" و"الطامّة" في التصوير الفني بقوله: "ومن الأوصاف التي اشتقّها القرآن ليوم القيامة (الصاخّة) و(الطامّة) والصاخّة لفظة تكاد تخرق صِماخ الأُذن في ثقلها وعنف جرسها، وشقّه للهواء شقاً، حتى يصل إلى الأُذن صاخّاً مُلحّاً، والطامّة لفظة ذات دويّ وطنين، تُخيّل إليك أنّها تطمّ وتعمّ، كالطوفان يغمر كلّ شيء ويطويه"[1].

إنّ هذا التوظيف للأصوات والكلمات في السياق القرآني يكون له "تأثير ذو إيقاع قوي إذا كانت نسبة الأصوات ذات الجرس القوي غالبة عليها، ويكون ذو إيقاع رخي إذا كانت نسبة الأصوات اللينة والضعيفة غالبة عليها"[2].

النمـــــــــــــوذج التطبيقي العاشر:

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (7)﴾[النازعات: 6-7]

يقول سيد قطب في تفسير هذه الآيات:

"والراجفة ورد أنها الأرض استناداً إلى قوله تعالى في سورة أخرى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾[المزمل: 14]، والرادفة: ورد أنها السماء أي أنها تردف الأرض وتتبعها في الانقلاب حيث تنشق وتتناثر كواكبها.

كذلك ورد أن الراجفة هي الصيحة الأولى، التي ترجف لها الأرض والجبال والأحياء جميعاً، ويصعق لها من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله. والرادفة هي النفخة الثانية التي يصحون عليها ويحشرون (كما جاء في سورة الزمر آية 68).

وسواء كانت هذه أم تلك، فقد أحس القلب البشري بالزلزلة والرجفة والهول والاضطراب؛ واهتز هزة الخوف والوجل والرعب والارتعاش"[3].

فقد قرن سيد لفظة الراجفة بالرجفة والهول والاضطراب، فلهذه اللفظة جرس موسيقى مُهيب يبعث في النفس الذهول والدهشة فالراجفة هي الصيحة الأولى التي ترجف لها الأرض

---

[1] التصوير الفني، سيد قطب، ص93.

[2] أرشيف منتدى الفصيح، أثر التلوين الصوتي في انتقاء الكلمة القرآنية، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/31874/34288#p6، تاريخ الزيارة: 2024/05/12م، 9:15ص.

[3] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص442.

والجبال، وقيل أنها النفخة الثانية التي يصحون عليها، وأيا كانت تعني الأولى أو الثانية ففيها من الذعر والرهبانية ولشدة صوتها ما فيها لإيقاظ آذان السامعين.

وهذه الإشارات الصوتية لسيد قطب نجد لها بسطة أكثر عند ابن عاشور إذ يقول:

"فالمرادُ بِـ (الرّاجِفَةُ): الصَّيْحَةُ والزَّلْزَلَةُ الَّتِي تَرْجُفُ الأرْضُ بِسَبَبِها جُعِلَتْ هي الرّاجِفَةَ مُبالَغَةً، كَقَوْلِهِمْ: عِيشَةٌ راضِيَةٌ، وهَذا هو المناسِبُ لِقَوْلِهِ:﴿تَتْبَعُها الرّادِفَةُ﴾ أيْ: تَتْبَعُ تِلْكَ الرّاجِفَة، أيْ: مُسَبِّبَةُ الرَّجْفِ رادِفَةٌ، أيْ: واقِعَةٌ بَعْدَها.

ويَجُوزُ أنْ يَكُونَ الرَّجْفُ مُسْتَعارًا لِشِدَّةِ الصَّوْتِ فَشُبِّهَ الصَّوْتُ الشَّدِيدُ بِالرَّجْفِ وهو التَّزَلْزُلُ"[1].

فمجيء الراء ساكنة في لفظة (ترْجُف) مما يزيد في تكرار اهتزازات اللسان أثناء النطق بها، وفي الراء سمة مميزة تميزه عن سائر الحروف هي التكرار الصوتي، ثم يأتي حرف الجيم بشدته ليُوحي بتكرار الرجفة وقسوتها، وأتَى بعدها بلفظِ (الرّاجفة) فتكرَّرَ اللفظ نفسُهُ بصيغة اسم الفاعل ليؤكد معنى الرّجفةِ وقوتها، ثم نجد الراء مشددة لتوحي بتكرار الرجفةِ، وبعدها الجيمُ جاءت مكسورة وبذلك يرسم مشهد الارتجاف بالأصوات كما يرسم بالمعاني والدلالات، فالأصوات هنا توحي بزلزلة الأرض، ويأتي بعدها صوتُ الفاء وكأنها هنا توحي بصوتِ الريحِ وهي ترمي بالأشياء في مهبّ العاصفة، فعند الوقوف على الراجعة وهي هنا فاصلة، انقلبت التاء المربوطة هاءً، لتعطيَ كذلك إيحاءً بصوت هبوب الرياح[2].

لقد تكاملت الإيحاءات الصوتية الصادرة عن أحرف كلمات الآية _ كما رأينا إشارة ذلك عند سيد قطب وتفصيلها عند ابن عاشور _ في تناغم معنى الرّاجفة مع صفات حروفها، كالشدة التي تطبع حرف الجيم وتكرار في الراء، وتكرار اللفظ جميعاً في رسم صورة مخيفة لجو ذلك اليوم الراجف الواجف المبهر الذعور لمشهدٍ من مشاهد يوم القيامة حيث ترجف الأرض وتُزلزلُ وتضطرب كالرعد، فجسدت أصوات هذه الكلمات في تحقيق التأثير في السامعين حيث أعطى الصوت أهمية بالغة لتحقيق مراد الله وهو ما ركز عليه سيد قطب وأثاره.

[1] التحرير والتنوير، ابن عاشور، ج30، ص67.

[2] ينظر: التصوير بالإيحاء الصوتي في القرآن الكريم، https://dergipark.org.tr/، ص276، 277.

النمـــــــــــــوذج التطبيقي الحادي عشر:

قوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ(17)﴾[التكوير: 17].

جاء في الظلال في تفسير هذه الآية:

"أي إذا أظلم؛ ولكن اللفظ فيه تلك الإيحاءات كذلك فلفظ عسعس مؤلف من مقطعين: (عس، عس)، وهو يوحي بجرسه بحياة في هذا الليل، وهو يعس في الظلام بيده أو برجله لا يرى! وهو إيحاء عجيب واختيار للتعبير رائع"[1].

يُظهر سيد قطب إبداعه في ربط لفظ "عسعس" بحركة العابر في الظلام،ربط سيد قطب بين ما يعنيه الخطاب القرآني وبين الجانب الصوتي فيه، ممّا يُضفي على المعنى دقةً وجمالاً مُوظّفاً مهاراته اللّغوية والبلاغية لإيصال أفكاره بشكلٍ مُبدعٍ ومُؤثّرٍ.

ففي تفسيره لِـ "**وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ**"، يُولي سيد قطب اهتماماً خاصاً بِجرس اللفظة "عسعس" وإيقاعها، إذ يؤكد سيد قطب على أن تكرار مقطع "عس، عس" يضفي على اللفظ إيقاعاً مُتكرّراً يؤثّر على مشاعر ومسامع المخاطب؛ فلفظ "عسعس" تتكون من مقطعين: (عس، عس)، فأنتجت اللفظة موسيقى انسجمت مع سياق النص ودلالاته وهو يوحي بجرسه الصوتي على اقبال الليل بظلامه الذي قد رسم المشهد "الهزيع الأخير من الليل في وقت قد تداخل فيه ضوء الفجر الذي أقبل بقوة مع ظلام الليل الذي أدبر بهدوء"[2]،فعبّر لحنُه عن المشهد قبل أن تُحدّده دلالات الألفاظ المعجمية، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "عسس" أنّ: "عسَّ يَعُسُّ عَسَساً وعَسّاً أَي طاف بالليلوالعَسِيسُ الذئب الكثير الحركة ويقال للذئب العَسْعَسُ والعَسْعاسُ لأَنه يَعُسُّ الليل ويَطْلُبُ، وقد عَسْعَسَ الذئبُ طاف بالليل، وعَسْعَسَ الليلُ عَسْعَسَة أَقبل بظلامه وقيل عَسعَسَتُه قبل السَّحَر، وفي التنزيل "والليل إِذا عَسْعَسَ والصُّبح إِذا تَنَفَّسَ" قيل هو إِقباله وقيل هو إِدباره، قال الفراء أَجمع المفسرون على أَن معنى عَسْعَسَ أَدْبَرَ. وقال أَبو إِسحق بن السري عَسْعَسَ الليل إِذا أَقبل وعَسْعَسَ إِذا أَدبر

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص472.

[2] الجرس الصوتي دراسة جمالية في ألفاظ غريب القرآن، ياسر علي عبد الخالدي، وكاظم صافي حسين الطائي، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، كلية الآداب جامعة القادسية، العدد18، 2014م، ص455.

والمعنيان يرجعان إلى شيء واحد وهو ابتداء الظلام في أَوله وإِدبارُه في آخره وقال ابن الأَعرابي العَسْعَسَةُ ظلمة الليل كله ويقال إِدباره وإِقباله وعَسْعَس فلان الأَمر إِذا لبَّسَه وعَمَّاه"[1].

فقد جاءت هذه اللفظة مطردة ليست كباقي الألفاظ الرباعية؛ التي سبق ذكرها في النماذج السابقة (دمدم، دكا دكا) التي حملت معاني الشدة والتهديد والوعيد في بنائها الصوتي، إذ أن لفظة "عسعس" حملت معاني مختلفة تماماً بحيث حملتا جواءً هادئةً حالمةً وهو يجسد صورة الليل وهو يعسّ بالظلام بحركة وئيدة بطيئة، وصورة حية شاخصة على طريقة القرآن في التشخيص، لتحقق منتهى التأثير بهذه الصورة الشاخصة[2].

كما اننا لو نظرنا إلى الأصوات المفردة التي تكون منها اللفظ واللذين هما صوتا العين والسين نجد أن تراوح صوت العين بين الجهر والرخاوة يعطي إيحاء بدخول الصبح بما يحمله من أصوات هادئة، فالجهر يناسب الصبح، كما أن الهمس والخفاء في السين يناسب الليل[3]، فتتابع تكرار إيقاع حرف السين المجهور يُضفي على اللفظ شعوراً بِالسلاسة والانسياب، ويُخلق شعوراً بِالحركة البطيئة والهادئة، وكما أن تكرار إيقاع حرف العين يُضفي على اللفظ شعوراً بِالتكرار والانتظام، فيشكلان تكرارهما معاً في المقطع نغمةً هادئةً وسلسة.

ومنه فقد تجلى إبداع سيد قطب في ربطه لفظ "عسعس" بحركة العابر في الظلام،حيث بتوظّيفه لمهاراته اللغوية والبلاغية لتحليل أصوات اللفظ وجرس إيقاعها المتكرر،مما يُضفي على المعنى دقةً وجمالاً ويُؤثّر على مشاعر ومسامع القارئ.

النمـــــــــــــوذج التطبيقي الثاني عشر:

قوله تعالى:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12)﴾[الطارق: 11-12]

جاء في الظلال في تفسير هاتين الآيتين:

"وهذه السورة نموذج واضح لهذه الخصائص، ففي إيقاعاتها حدّة يشارك فيها نوع المشاهد، ونوع الإيقاع الموسيقي، وجرس الألفاظ، وإيحاء المعاني.

ومن مشاهدها: الرجع، والصدع.

---

[1] لسان العرب، ابن منظور، ج6، ص139، مادة (ع،س،س).

[2] ينظر: الجرس الصوتي دراسة جمالية في ألفاظ غريب القرآن، ياسر علي عبد الخالدي، وكاظم صافي حسين الطائي، ص455.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

ومن معانيها:﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12)﴾

والرجع المطر ترجع به السماء مرة بعد مرة، والصدع النبت يشق الأرض وينبثق، وهما يمثلان مشهداً للحياة في صورة من صورها. حياة النبات ونشأته الأولى: ماء يتدفق من السماء، ونبت ينبثق من الأرض، أشبه شيء بالماء الدافق من الصلب والترائب؛ والجنين المنبثق من ظلمات الرحم، الحياة هي الحياة، والمشهد هو المشهد، والحركة هي الحركة، نظام ثابت، وصنعة مُعلمة، تدل على الصانع الذي لا يشبهه أحد لا في حقيقة الصنعة ولا في شكلها الظاهر!

يقسم الله بهذين الكائنين وهذين الحدثين: السماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع؛ حيث يوقع مشهدهما وإيحاؤهما، كما يوحي جرس التعبير ذاته، بالشدة والنفاذ والجزم"[1].

يُقدّم سيد قطب في تفسيره"في ظلال القرآن" تحليلاً ووصفاً دقيقاً لهاته الآيات، مُركّزاً على الربط بين الظواهر الطبيعية ومعانيها الرمزية العميقة. فيُبدع سيد قطب في ربط معنى الماء الدافق من السماء بالجنين المنبثق من ظلمات الرحم، مُقارناً بين نشأة الحياة في كلا الظاهرتين.

ثم أبرز سيد قطب قسم الله تعالى بالسماء ذات الرجع والأرض ذات الصدع، مُنوّهاً بِعظمة هذين الحدثين على إثبات عظمة الله وقدرته، فيُؤكّد على أنّ جرس التعبير ذاته يُوحي بمشاعر الشدة والنفاذ والجزم، ممّا يُضفي على القسم قوةً ورهبةً، ثم يُشير إلى أنّ جرس التعبير هذا يُضفي أيضاً جرساً قوياً وإيقاعاً موسيقياً رهيباً يزلزل النفوس وأذان السامعين. فكأنّ رجع المطر المنهمر وتصدع الأرض وتشققها يُصبحان نغماً موسيقياً هائلاً يُعلن عن عظمة الله وقدرته.

وعند عودتنا إلى مشاهد القيامة نجد أن سيد قطب قد أضاف على ما ذكره في الظلال في اشارته إلى تناسق هاتان الظاهرتان، حيث يقول: "والرجع المطر المنهمر، والصدع الشق في الأرض يتفتح عن النبات وهنا نجد ألواناً من التناسق الكامل مع المشاهد الماضية جميعًا؛ فالمطر النازل، والصدع المشقوق، هما في الهيئة والحركة، كالنجم الثاقب يشق الظلام، ويصدعه من جهة، ومن جهة أخرى كالماء الدافق يخرج من بين الصلب والترائب، وكالرحم المصدوعة تنشق عن الوليد كما تنشق الأرض بالنبات وتتفتح كلاهما عن الحياة الوليدة الجديدة بقدرة خفية

[1] في ظلال القرآن، سيد قطب، ج8، ص06، 08، 09.

مكنونة"[1].

كما نلاحظ تناسب معنى الرجع الذي هو رجوع المطر مرة بعد مرة مع صفة التكرار في الراء، والصدع مع صفة الصفير في الصاد، ذلك الصوت الذي يناسب انشقاق الأرض وتصدعها، فيُؤكّد سيد قطب على أنّ "الرجع المطر المنهمر" و"الصدع الشق في الأرض يتفتح عن النبات" يُمثّلان ذروة التناسق في المشاهد الطبيعية التي سبقتها في الآية، مُنوّهاً بِألوان التناسق الكامل مع هذه المشاهد، وهو بذلك يُؤكّد على أنّ هذا القرآن الكريم ليس مجرد نصّ مكتوب، بل هو لوحة فنية مُتناسقة تُخاطب العقل والقلب معاً.

النمـــــــــــــوذج التطبيقي الثالث عشر:

قوله تعالى:﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تُرَابًا (40)﴾[النبأ: 40]

جاء في الظلال في تفسير هذه الآية:

"وهو تعبير يلقي ظلال الرهبة والندم، حتى ليتمنى الكائن الإنساني أن ينعدم، ويصير إلى عنصر مهمل زهيد، ويرى هذا أهون من مواجهة الموقف الرعيب الشديد".

قدم لنا سيد قطب في تفسيره الظلال تفسيراً دقيقاً ناسب سياق هاته الآية ومدلولاتها وإيحاءاتها الصوتية، فمراد الخطاب كما حدده؛ هو تصوير ندم الكافرين بصرخات نادمة ونبرات أسيفة بصوتٍ مديدٍ حسير، صرخات حية يهتف بها لسان الإنسان الكافر في ذلك الموقف العصيب الشديد[2]،وماذكره سيد قطب في الظلال في هذه الآية هو نفسه ماذهب إليه في مشاهد القيامة حينما ذكر هذه الآية إذ نجده يقول: " وهو تعبير يلقي ظلال الرهبة والندم، حتى ليتمنى الكائن الإنساني أن ينعدم، ويصير إلى عنصر مهمل زهيد، فذلك خير من المواجهة في هذا الموقف الشديد"[3].

اتسمت هاته الآية بإيقاعٍ منتظمٍ يتناسب مع المعنى، في طول عمقها وايحاءات صوت إيقاع مدود كلماتها، فقول الكافر (يـاليتني كنت ترابا)، فيه أربعةُ مدود متتابعة وهذه المدود توحي بالصراخ في مدِ الألفِ في (يـا)،ثم توحي بالإجهاش في البكاء في مدِّ الياء في (ليتني)،

[1] مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، ص93.

[2] ينظر: نظرية التصوير عند سيد قطب، الخالدي، ص185.

[3] مشاهد القيامة في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ص222.

ثم بالصراخ من جديد في مدي الألف في (تُراباً) فتمتزجُ الحسرة والندم والحرقة بتمني المستحيل[1]،

إذ يقول سيد قطب في التصوير الفني معبراً على هذا الندم الطويل الشديد في نظير هاته الآية: "فهذا الندم الطويل، والتذكر لما مضى، مصحوباً بالنغمة الطويلة الممطوطة، والموسيقى المتموجة المديدة"[2]، قفد اشار قطب إلى أنّ هذا الإيقاع الموسيقي يُضفي على الآية شعوراً بالرهبة والخشوع، فكما ساهمت هذه الدلالات الصوتية في خلق جوٍّ من الحزن والأسى يُناسب الموقف المصوّر في الآية، وكأنّ السامع يُحضر مشهد العذاب في يوم القيامة.

يُؤكّد سيد قطب على أنّ الدلالات الصوتية في هذه الآية الكريمة تُساهم بشكلٍ كبيرٍ في إيصال المعنى وتثبيته في ذهن السامع، ممّا يجعلها نموذجاً رائعاً على قدرة القرآن الكريم على التأثير في النفوس من خلال استخدام اللغة العربية بكلّ إمكانياتها.

النمـــــــــــــوذج التطبيقي الرابع عشر:

قوله تعالى:﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ (5) وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (6) وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ (7) وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ (8) بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ (9) وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ (10) وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ (11) وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ (12) وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ (13) عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ (14)﴾[التكوير: 1-14].

فسّر سيد قطب هذه الآيات بقوله:

"وهذا هو مشهد الانقلاب التام لكل معهود، وما نعهده من الانقلابات هو أن ترجف بنا الأرض في زلزال مدمر، أو يتفجر من باطنها بركان جائح، أو أن ينقض على الأرض شهاب صغير، أو صاعقة، وأشد ما عرفته البشرية من طغيان الماء كان هو الطوفان، وهذه كلها بالقياس إلى ذلك الانقلاب الشامل الهائل الذي يشمل الأجرام السماوية والأرضية في يوم

[1] التصوير بالإيحاء الصوتي في القرآن الكريم، https://dergipark.org.tr/، ص281.

[2] التصوير الفني، سيد قطب، ص138.

القيامة، والوحوش النافرة والأنعام الأليفة، ونفوس البشر، وأوضاع الأمور، حيث ينكشف كل مستور، ويعلم كل مجهول؛ وتقف النفس أمام ما أحضرت من الرصيد والزاد في موقف الفصل والحساب، وكل شيء من حولها عاصف؛ وكل شيء من حولها مقلوب.

فهذه ثروة ضخمة من المشاهد الرائعة، سواء في هذا الكون الرائع الذي نراه، أو في ذلك اليوم الآخر الذي ينقلب فيه الكون بكل ما نعهده فيه من أوضاع، وثروة كذلك من التعبيرات الأنيقة، المنتقاة لتلوين المشاهد والإيقاعات"[1].

فعّل قطب كعادته في براعة الصوت وقوّة الجرس في ذكر الآيات الأولى من سورة التكوير، فهذه السورة ذات إيقاع مُدهش ومزلزل،تقلب كل شيء وتهزّ النفس هزّاً،وقد أضفى سيد قطب لهاته العبارات القوية تعبيراته ومصطلحاته الفنّانة، فالمراد من هاته الالفاظ اليقين التام للمستمع أنه وعلى الرغم من كل الانقلابات المهولة فإن المرجع لله تعالى وحده وعلم كل هذه المخلوقات عند الله وحده لا يضل ربي ولا ينسى!.

جاءت فواصل هذا المقطع متجانسة متماثلة، فقد انتهت بصوت التاء الساكن المهموس الشديد، وقد أكسب تكراره في الآيات المتتالية جرساً خافتاً عذباً، أضفى عليها قيماً تعبيرية، وقد تناسب هذا الصوت بشدته شدة الجو الثائر الذي يبعث في النفس الخوف والتوتر والاضطراب من أهوال يوم القيامة وما فيه من الأحداث الكونية الضخمة؛ وكأن هذه التاءات المتتابعة تناسب حالة التوتر، فكان تتابعها دون توقف مناسباً لتوالي أهوال يوم القيامة وشدائدها ليقرع صوت التاء بجرسه الآذان قرعاً، فأدت ظاهرة صوتية تثري النص الكريم في إبراز مدلولاته الرامية إلى سرعة تلاحق علامات الساعة وأحوالها من خلال تتابع الآيات القصار وتواليها وانسجامها وتوافقها صوتياً[2]،حيث تناسق فيها الإيقاع الموسيقي، يقول قطب:

---

[1] ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج7، ص467، 468.

[2] ينظر: لغة القرآن الكريم في سورة التكوير دراسة لغوية تطبيقية على تجويد الشيخ عبد الباسط، عائشة سالم محمد يوسف، قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات، مدينة السادات، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية، المجلد السابع والعشرون، 2023م، ص1554.وينظر: الإعجاز بالانسجام الصوتي في القرآن الكريم، زينب بيره جكلي، https://syrianrevolutionwriters.blogspot.com/، تاريخ الزيارة: 2024/05/12م، 23:40م. وينظر: سورة التكوير دراسة دلالية، نعم هامش الجناس، مجلة الأبحاث كلية التربية الأساسية جامعة الموصل، مج2، العدد1، 2004م، ص73.

"ذلك الإيقاع الناشئ من تخيّر الألفاظ ونظمها في نسق واحد"[1] لفواصل هذا المقطع مع جو السورة العام.

النمـــــــــــــوذج التطبيقي الخامس عشر:

قوله تعالى:﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)﴾[الناس: 1-6]

ورد في الظلال في تفسير سورة الناس، أنّ الاستعاذة في هذه السورة برب الناس، ملك الناس، إله الناس. والمستعاذ منه هو: شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس.

فالرب هو المربي والموجه والراعي والحامي، والملك هو المالك الحاكم المتصرف، والإله هو المستعلي المستولي المتسلط، وهذه الصفات فيها حماية من الشر الذي يتدسس إلى الصدور وهي لا تعرف كيف تدفعه لأنه مستور.

والوسوسة: الصوت الخفي، والخنوس: الاختباء والرجوع، والخناس هو الذي من طبعه كثرة الخنوس.

وقد أطلق النص القرآني الصفة أولاً:{الوسواس الخناس}، وحدد عمله: {الذي يوسوس في صدور الناس} ثم حدد ماهيته: {من الجنة والناس}، وهذا الترتيب يثير في الحس اليقظة والتلفت والانتباه لتبين حقيقة الوسواس الخناس، بعد إطلاق صفته في أول الكلام؛ ولإدراك طريقة فعله التي يتحقق بها شره، تأهبا لدفعه أو مراقبته!

والإنسان بطبعهِ عاجز عن دفع الوسوسة الخفية إلا أن يعينه ربه ومولاه الذي دله الله على عدته وجنته وسلاحه في هذه المعركة الرهيبة!. ثم إن وهناك لفتة ذات مغزى في وصف الوسواس بأنه: {الخناس}؛ فهذه الصفة تدل من جهة على تخفيه واختبائه حتى يجد الفرصة سانحة فيدب ويوسوسوهذه اللفتة تقوي القلب على مواجهة الوسواس فهو خناس ضعيف أمام عدة المؤمن في المعركة، ولكنها من ناحية أخرى معركة طويلة لا تنتهي أبداً، فهو أبداً قابع

[1] التصوير الفني، سيد قطب، ص87.

خانس، مترقب للغفلة، واليقظة مرة لا تغني عن اليقظات، والحرب سجال إلى يوم القيامة[1].

يُقدّم سيد قطب في تفسيره لسورة الناس تحليلاً دقيقاً وشاملاً، مُركّزاً على مختلف جوانب السورة، بما فيها الجانب الصوتي والمعنوي، فقد أكد عن حاجة الإنسان إلى حماية الله تعالى بقدرته وعظمته وألوهيته من شرّ الوساوس، ويُبيّن خبثه ودهائه وقدرته على التسلّل إلى قلوب الناس، بوصفه بأن هذا الصراع الذي بين الناس الوسواس بالحرب والمعركة الدائمة التي لا تنتهي إلى يوم القيامة.

تتميّز سورة الناس بِجمالها الموسيقيّ الفريد، ممّا يُضفي عليها رونقاً خاصّاً يُميّزها عن غيرها من السور، وإحدى مظاهر هذا الجمال: تصوير الألفاظ لجرس الوسوسة، ممّا يُضفي على السورة بعداً صوتيّاً يُحاكي المعنى ويُعزّزه، وهذا ما أضافه سيد قطب في التصوير الفني معبراً على هاته السورة بقوله: "نوع من تصوير الألفاظ بجرسها يبدو في سورة الناس،... اقرأها متوالية تجد صوتك يحدث "وسوسة" كاملة تناسب جو "وسوسة" (الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس)"[2].

كما تميّزت سورة الناس بتناسقٍ بديعٍ في حروف وتماثل كلماتها في فواصلها، ممّا يُضفي عليها جرساً موسيقيّاً، إذ تكررت الفاصلة في لفظة "النّاس"، وانتهاء فواصلها بصوت حرف السين المجهور المهموس المستفل، وهو أشد الحروف صفيرا وأطربهاً موقعاً، فكل هذه الصفات تؤهل السين ليتناسب مع الهمس والخفاء والخفوت وخفض الصوت في الوسوسة الصادرة من شياطين الجن والإنس فضلا عن ضعف الوسوسة في ذاتها لاختفائها بذكر الله تعالى[3]،فقد جاء وزن لفظتا يوسوس والوسواس والصدور على صيغة (فعفل) التي تدلُّ على تكرار حدث الوسوسة وتتابعها، مما جُعلت السين تحاكي النفس لأن الصراع يحمل إيقاعاً داخلياً غير ملموس ولا تعرف النفسُ كيف تدفعه لأنه مستور[4].

---

[1] ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب، ج8، ص134، 135.

[2] التصوير الفني، سيد قطب، ص94.

[3] ينظر: سورة الناس دراسة صوتية دلالية، شاكر سبع الاسدي، مجلة آداب ذي قار، جامعة ذي قاد، كلية الآداب، العدد3، 2011م، ص14.

4 إيقاع الصوت المفرد وأثره في الفاصلة القرآنية (صوت السين من سورة الناس)، محمد ياس خضر، كلية تربية قسم اللغة العربية، جامعة تكريت، وثمينة أحمد هيلان، كلية تربية سامراء قسم اللغة العربية، جامعة تكريب، العدد18، 2010م، ص240.

وكما أن حرف السين يتناسب دلاليا مع اسم الشيطان (الوسواس)، فقد جاء في لسان العرب لابن منظور في مادة "وسس" أن: "الوَسْوَسَة والوَسْواس الصوت الخفي من ريح والوَسْواس صوت الحَلْي وقد وسْوَس وَسْوَسَة ووِسْواساً بالكسر والوَسْوَسة والوِسْواس حديث النفس يقال وَسوَسَتْ إِليه نفسه"[1]، فلقد راقت الدلالة الصوتية الدلالة المعجمية للألفاظ في معنى الوسوسة والخفاء، إذ تجلى الإيحاء بالمعنى من خلال صفات صوت السين، مما ولّد إيقاعاً صوتياً مهموساً تناسب مع دلالة الألفاظ ومعناها الذي انسجم مع الجو العام للسورة.

وهذا ما يراه سيد قطب في تناسق فواصل سورة الناس الذي يُضفي عليها نغمةً موسيقيةً تُناسب جوّ "الوسوسة"، مُربطاً هذا التناسق بمعنى السورة ودلالاتها، ممّا يُضفي على تفسيره عمقاً وأبعاداً جديدةً.

1 لسان العرب، ابن منظور، ج6، ص254، مادة (و،س،س).

الخاتمة

خـــــاتـــــمة

بعد عمل دؤوب وشاق كان مضماره الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم في تفسير سيد قطب "في ظلال القرآن"، ها أنـا أحدِدُ زبدة ما خلصت إليه في بحثي هذا مردفةً بجملة من التوصيات والتوجيهات التي أحسبها مفيدة في خدمة هذا الموضوع.

أولاً–أهم النتائج:

1_ أن سيد قطب قد جعل البنية الصوتية في القرآن الكريم عنصرا مهما من عناصر إعجازه، وأن للصوت في القرآن وظائف متعددة ودلالات متميزة لها قيمتها في خطابية القرآن الكريم وتحقيق أبعاده ومفاهيمه.

2_ يعتبر تفسير سيد قطب تفسيرا بالمأثور، ومع ذلك فقد سلط الضوء في تفسيره على الجانب النغمي والموسيقي للفظ القرآني؛ إذ يرى أنّ القرآن الكريم يتميّز بنغمٍ موسيقيّ فريدٍ يُضفي عليه جماليةً وروعةً، وأنّ هذا النغم الموسيقيّ يُساعد على إيصال المعنى بشكلٍ أعمق وأكثر تأثيرًا. كما يرى أنّ هناك تناسبًا دقيقًا بين الجانب الصوتي والجانب المعنوي في القرآن، وأنّ هذا التناسب هو أحد ملامح إعجاز القرآن الكريم.

3_ للفظة العربية خصائص متميزة لاتشاركها فيها ألفاظ اللغات الأخرى كونّ معناها مرتبطا بالنغم الموسيقيّ الخاصّ بها. فعلى سبيل المثال، تُثير آيات مشاهد يوم القيامة مشاعر الخشوع والرهبة من خلال أصوات حروفها المهيب؛ وبنية ألفاظها صوتيا، لذا فسيد قطب يرى أن القرآن استعمل اللغة بكل إمكانياتها والتي منها الصوت لإيصال المعاني.

4_ أظهر سيد قطب إعجاز القرآن الكريم في تنغيّمه، مُبيّنًا كيف تُضفي نغمة الصوت معنىً إضافيًا على الكلمات.

5_ أكّد سيد قطب على إعجاز القرآن الكريم في تركيب الكلمات والجمل، مُبيّنًا كيفية تُساهم ترتيب الكلمات في إيصال المعنى بشكلٍ دقيق وفعّال.

6_ وظّف سيد قطب الجانب الصوتي في تفسيره لآيات القرآن الكريم في محاولته الوقوف على دلالاتها ومراد الخطاب القرآني منها.

7_ يظل الجانب الصوتي في القرآن الكريم أمرا معجزا لم يغفل عنه القدماء والمحدثون لصلته

المباشرة بدلالاته وغاياته.

ثانياً– أهم التوصيات:

1_ ضرورة إعطاء الجانب النغمي والصوتي أهمية بالغة في تفسير معاني ودلالات الألفاظ في القرآن.

2_ ضرورة خدمة تفسير الظلال وإماطة اللثام عن نفائسه الدفينة في الجانب الصوتي خاصة، واعتباره مرجعاً لتفاسير معاصرة تنزل للواقع وتعالجه ضمن ذلك المنظور.

3_ إعجاز القرآن لا يتوقف عند نظمه ولا بلاغته ولا عند إعجازه العلمي، فوجب البحث والتنقيب عن مصادر إعجازه المتنوعة؛ كالإعجاز الصوتي والصرفي وغيرهما.

وعموما قد حاولت تسليط الضوء على الجانب الصوتي والنغمي في تفسير الظلال لجزء عم وربطه بمعاني الألفاظ لبيان أثرها في المعاني، وتجلية بعدها الجمالي، علِّي بذلك أضع لبنة أحسبها ذات أهمية في بناء أذن ذواقة لجماليات اللفظ القرآني البليغ.

إن هذا ما تيسر لي بتوفيق من الله إعداده وتهيأ إيراده، فما وُفقت فيه فمن الله وحده لا شريك له، ثم بفضل توجيهات أساتذتي الكرام ومشرفي الفاضل، وما كان فيه من خطأ أو تقصير فمن نفسي والطبيعة البشرية المعرضة للتقصير، والحمد لله رب العـــــــالمين.

الفهارس العامة

أولا: فهرس الآيات القرآنية

طرف الآية	السورة	رقم الآية	الصفحة
﴿الم (1) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ(2)﴾	البقرة	1-2	43
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾		103	54
﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾		7	67
﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ﴾		214	80
﴿وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ﴾	النساء الأنعام	72	22
﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾		82	36
﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾		31	67
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾	الأعراف	40	64
﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾		175	71
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾	التوبة	38	24

﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ . . .﴾	إبراهيم	41-38	76
﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾	الحجر	94	30
﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾		73	78
﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ﴾	النحل	88	88
﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾	مريم	04	66
﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (2) إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا . . .﴾		4-2	75
﴿إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (1)﴾	الحج	01	81-80
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾		11	65
﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾		31	66
﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾	الفرقان	23	66
﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27)﴾		27	22
﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ (94) وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ﴾	الشعراء	95-94	72
﴿فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ﴾	القصص	18	71

﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾	العنكبوت	55	68
﴿الم (1) غُلِبَتِ الرُّومُ (2) فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ (3) فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾	الروم	4-1	41
﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾	الأحزاب	11	80
﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ . . .﴾	فاطر	37-36	20
﴿ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ﴾	ص	1	43
﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَى وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ (16)﴾	فصلت	16	21
﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا . . .﴾	الشورى	53-52	31
﴿قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾	الفتح	16	41
﴿ق وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ﴾	ق	1	43
﴿يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا﴾	الطور	13	71
﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (1) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى (2) وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى (4)﴾ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20)﴾	النجم	22-1	73

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى (21) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (22)﴾			
﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى (19) وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى (20)﴾	19- 20		73-74
﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾	01	القمر	44
﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ (6) خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ . . .﴾	6-8		76
﴿وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ﴾	36		38
﴿فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ﴾	37	الرحمن	44
﴿إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا (4) وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا﴾	4-5	الواقعة	44
﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (83) وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ (84) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا تُبْصِرُونَ﴾	83- 85		67
﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾	21	الحشر	40
﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾	01	القلم	43
﴿الْحَاقَّةُ (1) مَا الْحَاقَّةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ﴾	1-3	الحاقة	70
﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (13) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾	13- 14		44
﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (25) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (26) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ	25- 27		21

﴿(27)﴾			
﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾	05	المزمل	68
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ﴾	14		97
﴿لَا أُقْسِمُ﴾	01	القيامة	46
﴿إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا﴾	27	الإنسان	68
﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (1) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (2) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (3) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (4) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (5)...﴾	74	النبأ	75
﴿وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (40)﴾	40		102
﴿وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (1) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (2) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (3) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (4) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (5)﴾	5-1	النازعات	88
﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (6) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ((7)﴾	7-6		97
﴿فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (34)﴾	34		95
﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾	33	عبس	93-69
﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (34) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (35) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (36)﴾	36-34		70-90-93
﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (1) وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ (2) وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ (3) وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ (4) وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ . . .﴾	14-01	التكوير	103
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (17)﴾	17		99
﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ (1) وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ﴾	2-1	الانفطار	44
﴿فَلَا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ (16) وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ (17) وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ	19-	الانشقاق	86

﴿(18) لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ (19)﴾		16	
﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ (11) وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ (12)﴾	الطارق	12-11	100-101
﴿وَالْفَجْرِ (1) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (2) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (3) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (4) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ . . .﴾	الفجر	10-1	74-45
﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾		04	65
﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾		26-21	81-44
﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا﴾	الشمس	14	77
﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (1) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (2)﴾	الزلزلة	2-1	79
﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا (1) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا (2) فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا (3) فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا (4) فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا . . .﴾	العاديات	11-1	90
﴿الْقَارِعَةُ (1) مَا الْقَارِعَةُ (2) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (3)﴾	القارعة	3-1	84
﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ . . .﴾	الناس	6-1	105

ثانيا: فهرس الأحاديث النبوية

طرف الحديث	الصفحة
الْخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ	91

قـــــــائمة المصادر والمراجع:

أولاً: القـــــرآن الكريم برواية حفص

ثانياً: الكتب:

1.أحمد مختار عمر أسس علم اللغة، عالم الكتب، ط8، 1419هـ، 1998م.

2.أحمد أبو زيدن، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، دار الأمان، الرباط، المغرب، دط، دت.

3.أحمد ياسوف، جماليات المفردة القرآنية، دار المكتبي، سورية _دمشق، ط2، 1419هـ، 1999م.

4.أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، القاهرة، عالم الكتب، دط، 1991م.

5.إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط بن علي بن أبي بكر البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، دط، دت.

6.إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 31990م.

7.إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة النهضة، مصر، دط، دت.

8.بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبوالفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه، ط1، 1957م.

9.بَكري شيخ أمين، التعبير الفني في القرآن، دار الشروق، بيروت، ط3، 1933هـ، 1979م.

10. تمام حسان، اللغة العربية، معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء–المغرب، دط، 1994م.

11.تمام حسان، مناهج البحث في اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، دط، دت.

12.تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1993م.

13.الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة –مصر، ط7، 1978م.

14.الجاحظ، الحيوان، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، لبنان–بيروت، دط،

1416هـ، 1996م.
15.الجاحظ، الرسائل، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الجبل، بيروت، دط، دت.
16.ابن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق –سوريا، ط2، 1993م.
17.حسن عباس، خصائص الحروف العربية ومعانيها، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1998م.
18.أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، دط، 1399هـ، 1979م.
18.الخطيب عبد الكريم، الإعجاز في دراسات السابقين، دار الفكر العربي، ط1، 1974هـ.
19.خليل حلمي، مقدمة لدراسة علم اللغة،دار المعرفة الجامعية، دط، 1996م.
20.الخليل بن أحمد الفراهيدي العين، تح: مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، دط، دت.
21.خير الدين الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت_لبنان، ط5، 1980م.
22.ابن خلكان، وفيات الأعيان، تح: إحسان عباس، دار صادر –بيروت، ط1، 1900م، 1971م.
23.خليل أحمد خليل، موسوعة العرب المبدعين في القرن العشرين، دار الفارس، عمان، ط1، 2001م.
24.الذهبي، سير أعلام النبلاء.
25.الراغب الأصفهاني، المفردات في غريب القرآن، تح: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية –دمشق بيروت، ط1، 1412هـ.
26.الزمخشري أبو القاسم محمد بن عمر المفصل في صنعة الإعراب،دار ومكتبة الهلال، بيروت، لبنان، دط، 1993م،.
27.زكي المحاسني، الأدب الديني دراسات أدبية من القرآن والحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط، 1970م.

28.أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستي، بيان إعجاز القرآن، تح: محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، 1976م، ط3.
29.سيد قطب الشهيد الحي، صلاح عبد الفتاح الخالدي، مكتبة الأقصى، عمان- الأردن، ط1، 1401هـ، 1981م.
30.سيد قطب، مشاهد القيامة في القرآن، دار الشروق، القاهرة، دط، دت.
31.سيد قطب، في ظلال القرآن، دار الشروق القاهرة مصر، ط34، 1425هـ، 2004م.
32.سيد قطب، التصوير الفني في القران الكريم، مطابع الشروق، القاهرة، ط13، 1993م.
33.شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، التمهيد في علم التجويد، تح: الدكتور علي حسين البواب، مكتبة المعارف، الرياض، ط1، 1405هـ، 1985م.
34.شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.
35.شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، ط9، 1965م.
36.شهاب الدين الألوسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، تح: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 1415هـ.
37.صلاح عبد الفتاح الخالدي، مدخل إلى ظلال القرآن، دار عمان، الأردن-عمان، ط2، 1421هـ، 2000م.
38.صلاح عبد الفتاح خالدي، سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، دار القلم- دمشق، ط2، 1994م.
39.صلاح عبد الفتاح الخالدي، نظرية التصوير الفني عند سيد قطب، دار الفاروق، عمان_ الأردن، ط1، 1437هـ، 2016م.
40.عائشة محمد علي عبد الرحمن بنت الشاطئ، على الجسر بينالحياة والموت، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، دط، 1986م.
41.عائشة محمد علي عبد الرحمن المعروفة ببنت الشاطئ، الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق، دار المعارف، القاهرة، ط3، دت.

42.عبد الله عزام، عملاق الفكر الإسلامي الشهيد سيد قطب، مركز شهيد عزام الإعلامي يشاور-بكستان، ط1، دت.

43.أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي، تفسير الفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي، دط، دت.

44.أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي، عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط1، 1417هـ، 1996م.

45.أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، 1423هـ، 2003م.

46.عائشة محمد علي عبد الرحمن، التفسير البياني للقرآن الكريم، دار المعارف –القاهرة، ط7، دت.

47.أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تح: هشام سمير البخاري، دار عالم الكتب، الرياض، المملكة العربية السعودية، دط، 1423هـ، 2003م.

48.عمر السلامي، الإعجاز الفني في القرآن الكريم، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله، دط، دت.

49.على الله بن علي أبو الوفا، القول السديد في علم التجويد، دار الوفاء، المنصورة، دط، 1424هـ، 2003م.

50.غانم قدوري الحمد، مدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1425هـ، 2004م.

51.غالب فاضل المطلبي الأصوات اللغوية، دراسة في اصوات المد العربية، دار الحرية للطباعة، بغداد، دط، 1984م.

52.أبو الفداء بن كثير تفسير القرآن العظيم، تح: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر

والتوزيع، ط2، 1420هـ، 1999م.
53.فضل حسن عباس، اعجاز القران الكريم، جامعة القدس المفتوحة، عمان- الأردن، ط2، 1997م.
54.فضل حسن عباس وسناء فضل عباس، إعجاز القرآن الكريم، دط، 1412هـ، 1991م.
55.فاضل السامرائي، التعبير القرآني، دار عمار، عمان، ط4، 1427هـ، 2006م.
56.أبي الفتح عثمان بن جني، سر صناعة الإعراب، تح: حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط1، 1985م.
57.القاضي أبي بكر ابن الطيب الباقلاني، الانتصار للقرآن، تح: محمد عصام القضاة، دار الفتح للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، دط، دت.
58.القاضي أبو بكر محمد بن الطيِّب الباقلاني، إعجاز القرآن، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، دط، دت.
59.القاضي أبو بكر محمد بن الطيِّب الباقلاني، تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل، تح: عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت-لبنان، ط1، 1987م.
60.أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي،الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار الكتاب العربي –بيروت، ط3، 1407هـ.
61. كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة-مصر، دط، 2000م.
62.ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط1، دت.
63.محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، المعجزة الكبرى القرآن،دار الفكر العربي، دط، دت.
64.محمد عبد العظيم الزرقاني، مناهل العرفان في علوم القرآن، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط3، دت.
65.محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان، دط، 1415هـ،

1995م.
66.محمد إبراهيم شادي، البلاغة الصوتية في القرآن الكريم، دار الرسالة، الأزهر، ط1، 1409هـ، 1988م.
67.محمد قطب عبد العال، من جماليات التصوير في القرآن، تصدرها رابطة العالم الإسلامي- مكة المكرمة، 1410هـ، 1990م، دط، دت.
68.محمود السعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، ط2، 1997م.
69.محمد بن عبد الله دراز، النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن الكريم، دار الثقافة _الدوحة، دط، 1985م.
70.محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر –تونس، دط، 1984هـ.
71.محمد رفعت أحمد زنجير، مباحث في البلاغة وإعجاز القرآن الكريم، ط1، 1428هـ، 2007م.
72.مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط8، 1425هـ، 2005م.
73.مصطفى مسلم، مباحث في إعجاز القرآن، دار القلم –دمشق، ط3، 1426هـ، 2005م.
74.ماريو باي، أسس علم اللغة، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1998م.
75.محمد علي الخولي، الأصوات اللغوية النظام الصوتي للغة العربية، دار الفلاح، دط، 1990م.
76.محمد حسين علي الصغير، الصوت اللغوي في القران، دار المؤرخ العربي، بيروت- لبنان، ط1، 1420هـ، 2000م.
77.محيي الدين درويش، إعراب القرآن وبيانه، دار الإرشاد للشئون الجامعية، حمص-سورية، ط4، 1415هـ.

78.محمد خير رمضان يوسف، تتمة الأعلام، دار ابن حزم، بيروت، ط2، 1422هـ.

ثالثاً: المجلات والمقالات:

79.ابتسام فارح والسعيد بوخالفة، توظيف الدراسات البيانية في إظهار جوانب من الإعجاز البياني عند عائشة عبد الرحمن من خلال كتابها "الإعجاز البياني للقرآن ومسائل ابن الأزرق"، كلية العلوم الإسلامية جامعة باتنة، مجلة الإحياء، العدد30، 2022م.

80.حسين محيسن ختلان البكري، المفردة القرآنية بين الجذر اللغوي والمعنوي القرآني، مجلة كلية التربية للبنات، مج20، 1430هـ، 2009م.

81.دفة بلقاسم، نماذج من الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، 2009م.

82.زينة بورويسة، التناسق الفني في القرآن الكريم عند سيد قطب (مفهومه، درجاته، ومظاهره)، ، مجلة المعيار، العدد43، 2018م.

83.سيد علي مير لوحي وماجد النجار، الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم (نظرة في كتب الباحثين العرب القدامى والمعاصرين)، مجلة أهل البيت عليهم السلام، العدد9.

84.شاكر سبع الاسدي، سورة الناس دراسة صوتية دلالية، مجلة آداب ذي قار، جامعة ذي قاد، كلية الآداب، العدد3، 2011م.

85.عز الدين بوبيش، حقيقة الإعجاز عند الرافعي، أستاذ مكلف بالدروس معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة، مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، العدد1، المجلد 14، 1999م.

86.نرمين غالب أحمد، أثر المستوى الصوتي في تشكيل الدلالة سورة الحاقة نموذجا، جامعة مستغانم، العدد16، 2016م.

87.محمد ياس خضر، كلية تربية قسم اللغة العربية، جامعة تكريت، وثمينة أحمد هيلان، كلية تربية سامراء قسم اللغة العربية، جامعة تكريب إيقاع الصوت المفرد وأثره في الفاصلة القرآنية (صوت السين من سورة الناس)، مج6، العدد18، 2010م

88.مريم سعود، التصوير الفني وصلته بالإعجاز البياني القرآني، جامعة زيان عاشور، بالجلفة،

مجلة المداد، المجلد2، العدد4، 2014م.
89.نعم هامش الجناس، سورة التكوير دراسة دلالية،مجلة الأبحاث كلية التربية الأساسية جامعة الموصل، مج2، العدد1، 2004م.
90.ياسر علي عبد الخالدي، وكاظم صافي حسين الطائي، الجرس الصوتي دراسة جمالية في ألفاظ غريب القرآن، مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية، جامعة بابل، كلية الآداب جامعة القادسية، العدد18، 2014م.

رابعاً: المذكرات:

91.بلالي مبارك، الجوانب الصوتية في تفسير الكشاف للزمخشري، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2013م.
92.عائشة سالم محمد يوسف، لغة القرآن الكريم في سورة التكوير دراسة لغوية تطبيقية على تجويد الشيخ عبد الباسط، ، قسم أصول اللغة، كلية الدراسات الاسلامية والعربية للبنات، مدينة السادات، جامعة الأزهر، جمهورية مصر العربية، المجلد السابع والعشرون، 2023م.
93. مليكة الطيبي، أثر المكون الصوتي في بلاغة الكلمة القرآنية عند سيد قطب، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب واللغات، جامعة أحمد دراية أدرار، 2019م.
94. محمد الصغير ميسه، جماليات الإيقاع الصوتي في القرآن الكريم، قسم الآداب واللغة العربية، كلية الآداب واللغات، جامعة محمد خيضر بسكرة، 2012م.

خامساً: المواقع الإلكترونية:

95.أرشيف منتدى الفصيح، أثر التلوين الصوتي في انتقاء الكلمة القرآنية، المكتبة الشاملة الحديثة، https://al-maktaba.org/book/31874/34288#p6.
96.الأداء التصويري وإيقاع الفواصل في القرآن الكريم، محمد قطب عبد العال، https://darululoom-deoband.com/.
97.الإعجاز بالانسجام الصوتي في القرآن الكريم، زينب بيره جكلي، https://syrianrevolutionwriters.blogspot.com.
98.التصوير بالإيحاء الصوتي في القرآن الكريم، https://dergipark.org.tr/.

فهرس المحتويات

العنـــــوان	الصفحة
الإهداء	
الشكر والتقدير	
ملخص	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي **الصوت وأشكاله ودلالته في اللغة العربية**	
المبحث الأول: تعريف الصوت لغة واصطلاحا	10
المطلب الأول: تعريف الصوت لغة	10
المطلب الثاني: تعريف الصوت اصطلاحاً	10
المبحث الثاني: أشكال الصوت في اللغة العربية	11
المطلب الأول: التعريف بالأصوات الصامتة والصائتة	12
المطلب الثاني: مخرجها	13
المطلب الثالث: صفاتها	15
المبحث الثالث: دلالات الأصوات في القرآن الكريم	19
المطلب الأول: قيمة الصوت التعبيرية	19
المطلب الثاني: الأثر النفسي	21
المطلب الثالث: تقوية المعنى	22
الفصل الأول **الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم في دراسات اللغويين**	

المبحث الأول: الاعجاز الصوتي عند اللغويين القدماء	26
المبحث الثاني: الاعجاز الصوتي عند اللغويين المعاصرين	33
الفصل الثاني **دلالة الصوت في جزء عم في تفسير ظلال القرآن لسيد قطب**	
المبحث الأول: التعريف بسيد قطب وتفسيره في ظلال القرآن	48
المطلب الأول: التعريف بسيد قطب	48
الفرع الأول: مولده ونشأته	48
الفرع الثاني: حياته العلمية والعملية	48
الفرع الثالث: مؤلفاته	51
الفرع الرابع: إعدامه ووفاته	52
المطلب الثاني: التعريف بتفسير "في ظلال القرآن"	53
الفرع الأول: تقديم تفسير الظلال وتسميته	53
الفرع الثاني: المراحل التاريخية لتأليف الظلال	54
الفرع الثالث: طبعات الظلال وترجماته	57
الفرع الرابع: منهج سيد قطب في تفسيره ظلال القرآن ومصادره	58
المبحث الثاني: الصوت في دراسات سيد قطب	62
المطلب الأول: نظرية التصوير الفني	63
المطلب الثاني: جرس المفردة القرآنية	69
المطلب الثالث: الإيقاع	72
المبحث الثالث: نمـــــــاذج مختـــــــارة من جزء عم	77
النمـــــــــوذج التطبيقي الأول	77
النمـــــــــوذج التطبيقي الثاني	79
النمـــــــــوذج التطبيقي الثالث	81
النمـــــــــوذج التطبيقي الرابع	84

النمـــــــــــوذج التطبيقي الخامس	86
النمـــــــــــوذج التطبيقي السادس	88
النمـــــــــــوذج التطبيقي السابع	90
النمـــــــــــوذج التطبيقي الثامن	93
النمـــــــــــوذج التطبيقي التاسع	95
النمـــــــــــوذج التطبيقي العاشر	97
النمـــــــــــوذج التطبيقي الحادي عشر	98
النمـــــــــــوذج التطبيقي الثاني عشر	100
النمـــــــــــوذج التطبيقي الثالث عشر	102
النمـــــــــــوذج التطبيقي الرابع عشر	103
النمـــــــــــوذج التطبيقي الخامس عشر	104
الخاتمة	109
الفهارس العامة	
فهرس الآيات	112
فهرس الأحاديث النبوية	118
قائمة المصادر والمراجع	119
فهرس المحتويات	127